مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العدد 22، أغسطس 2020، السنة الرابعة

ملف الشهر

النجوم والطوالع في التراث العربي

«موروثنا في كتاب» تستعرض إصدارات المعهد

«الشارقة للتراث» يحتفي بالتراث البحريني

«الشارقة للتراث» يضع اللمسات الأخيرة لإحياء القرية التراثية بخورفكان

MARAWED Issue, 22 (AUG 2020), The Fourth Year

العدد 22، أغسطس 2020، السنة الرابعة

MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

Issue, 22 (AUG 2020) The Fourth Year

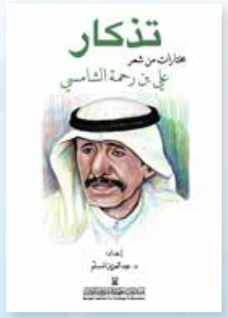

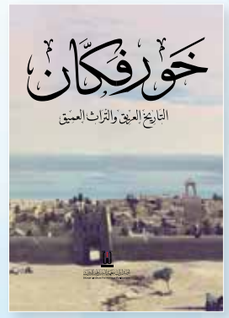

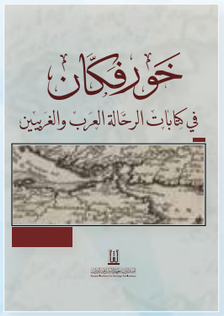

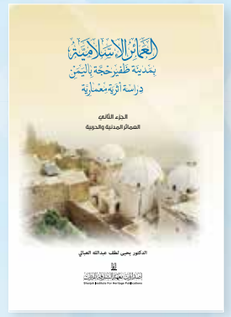

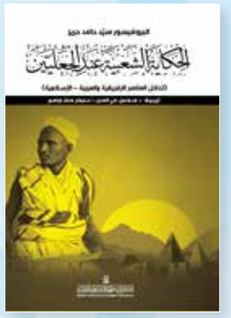

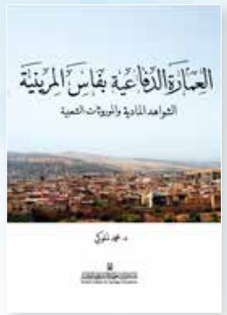

من إصدارات معهد الشارقة للتراث

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute for Heritage

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

0097165014898 - 00971567927270

m.bounama@sih.gov.ae

مراود

النجوم والطوالع

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

عاش الإنسان العربيّ قديماً في فضاء مكشوف، وسماء متلألئة بالنجوم، التي كانت علامات يستدلّ بها في دروبه المقفرة، في بيداء شاسعة واسعة، لا يحدّها شيء، وفي غمرة ذلك تشكّلت علائق كثيرة بين الإنسان والنجوم والطوالع، والنظر فيها، ومعرفة منازلها؛ وذلك لارتباطها بحياته اليومية، وما يطالها من تغيّرات بين فصول السنة.

لذلك، أفردنا في هذا العدد من «مراود» ملفاً خاصاً يناقش تلك الفكرة، تزامناً مع مطلع النجم سهيل، وهو بعنوان: «النجوم والطوالع في التراث العربي»، استحضرنا فيه اهتمام العرب قديماً بالنجوم وارتباطها الوثيق بمختلف تفاصيل حياتهم، ثم عرّجنا على النجوم والمواسم عند أهل الخليج، ودورها في توثيق تاريخهم وعلاقتها، كذلك بموروثهم الشعبي، وتوقفنا عند النجوم في التراث الإماراتيّ، وما تعنيه من رمزية ودلالة عند الإماراتيين، مما تمّ سرده وعرضه نثراً وشعراً، كما تناول الملف الطوالع والنجوم في التراث الشعبي العربي ثم في السينما.

وتتّبع العدد أخبار المعهد، والفعاليات التي نظّمها خلال الفترة الماضية، من ندوات ومحاضرات وورش افتراضية، كان لها دور كبير في الاضطلاع بالغاية المنشودة، وتقديم التراث للجمهور، بما يتناسب مع طبيعة المرحلة وخصوصيتها. وكانت البداية بالقرية التراثية في خورفكان، التي عمل المعهد على صيانتها وترميمها، وتأهليها وإعادة إحيائها؛ لفتحها أمام الزوّار، ليتشبّعوا بروح الماضي، وعبقه الساحر.

كما استعرض العدد احتفال المعهد باليوم الثقافي البحريني، الذي تم تنظيمه ضمن برنامج مستحدث لأسابيع التراث الثقافي العالمي في الشارقة.

وعرّج العدد على مبادرة «موروثنا في كتاب»، التي أطلقها المعهد تزامناً مع انتشار فيروس كورونا المستجد، بهدف التعريف بإصدارات المعهد ومنشوراته، تعكس مدى اهتمام المعهد بالتراث وتوثيقه ونشره.

وتضمّن العدد الكثير من الموضوعات التراثية والثقافية المتنوّعة، التي تثري معلومات القارئ، ومنها: تراث النوازل للدكتور ماجد بوشليبي، وسيرة الشاعر علي بن هويشل الخاطري (شاعر الرزيف)، وفن الصوت الخليجي في الإمارات، وفن الوهابية، والغوص.. رحلة المعاناة والكفاح، وقصة الشاعر جويهر بن عبود الصايغ مع محمد بن حمد الشامسي، والراوي راشد الشوق كنز بشري خالد، بالإضافة إلى موضوعات أخرى عن تراث الشعوب وثقافات الأمم.

يصدر قريباً

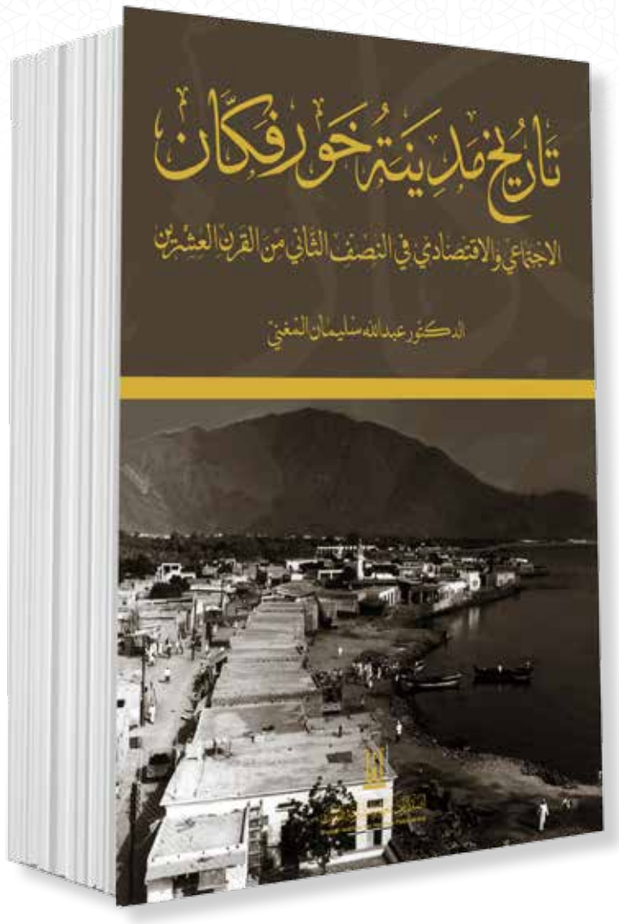

محتويات العدد

الافتتاحية 5

أخبار ومتابعات 10

ملف العدد

النجوم و الطوالع في التراث العربي 19

كلباء درّة الساحل الشرقي 86

رؤى
د. ماجد بوشليبي 54

أعلام وأبيات
عتيج القبيسي 56

شواهد
علي أحمد المغني 64

دراسة
محمد عبدالله نور الدين 70

أشياء من الماضي
علي العبدان 58

فن الوهابية
علي العشر 62

العيد ومواسم الفرح عند الأمم 76

طقس الحَوْلي في المغرب 82

راشد الشوق.. كنز بشري
90

ترحال الكلام
د.محمد الجويلي
93

مدن ومعالم صومالية
في أراجيز ابن ماجد
94

الترجمة في الحضارة
العربية الإسلامية
100

لونجا
بنت الغول
102

الحجر الصحي
الكورنتينة
106

سوالف الهامور
عبدالله خلفان الهامور
110

طقوس الاحتفال بالمواليد
في التراث الإماراتي
112

جوهر الثقافة
الصينية – أوبرا بكين
116

الألعاب والدمى الشعبية اليابانية
(الجزء الأول)
122

شرفة
128

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9
9 789948 377689

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
د. ماجد بوشليبي
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
د. منّي بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

سكرتير التحرير
أحمد الشناوي

أسرة التحرير
أ. علي العبدان
أ. عتيج القبيسي
أ. عائشة الشامسي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
قسم الإعلام

«الشارقة للتراث» يضع اللمسات الأخيرة لإحياء القرية التراثية بخورفكان

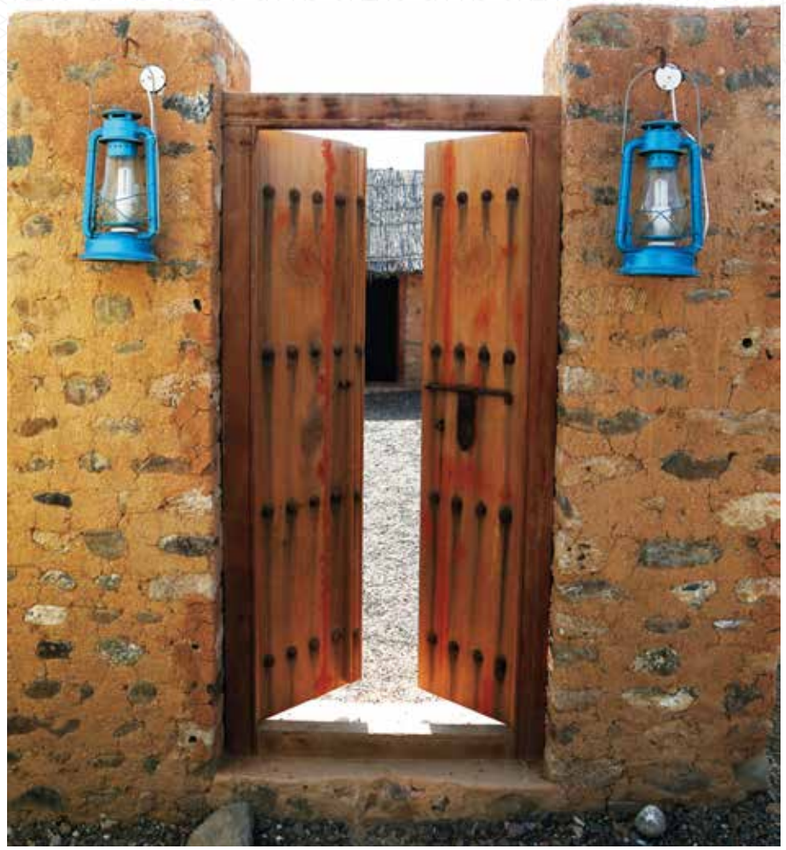

قام سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، بزيارة تفقدية؛ لمتابعة سير عدد من المشاريع التراثية في مدينة خورفكان، التي يشرف المعهد على إنجازها، ضمن خطة الإحياء وإعادة التأهيل، وقد رافق سعادته مجموعة من أعضاء لجنة تنشيط المناطق التاريخية والتراثية.

تكمن أهمية الحفاظ والإحياء للقرية التراثية بخورفكان، في انتشالها مما كانت تعانيه؛ بسبب الإغلاق لفترة طويلة دون تشغيل، مما نجم عنه تأثير الرطوبة في المباني وأسقفها، وبعد صيانتها وإعادة تأهيلها، وتجهيزها للافتتاح، وتهيئتها لاستقبال الزوّار، ستشكّل القرية رافداً مهماً، يجمع بين الفائدة والتسلية، والسياحة والترفيه للسكان والسيّاح على حد سواء؛ لما تضم بين جنباتها من تنوّع مرافقها ومحتوياتها، التي سيتم عرضها بناء على توزيع مرافقها، وهي المتاحف الشخصية: «بدر صالح، محمد صالح النقبي، فاطمة المغني، عبدالله الكابوري، راشد خلفان عبدالله النقبي، خلفان محمد علي النقبي»، بيوت الحرف، وتضم: «حرف التلي، صباغة الملابس، السفافة، الزفانة، الدعون، صناعة البراقع..»، ومجلس التراث (الدامة)، وبيت الألعاب الشعبية، وبيت أدب الحلات، ورواق المكتبة، ونزل الشباب، والمقهى الشعبي، وبيت العوائل، حيث ستقدّم للزوّار صورة مشرقة وأخّاذة عن تراث المنطقة، ضمن لوحة تراثية متكاملة، تستعرض مختلف جوانب التراث الثقافي، من معالم تاريخية ومتاحف شخصية وحرف تقليدية وفنون شعبية، وصناعات تراثية تعكس الموقع الجغرافي الساحلي للمدينة، وما يزخر به من تراث بحري غني، يتجلى في أنواع من الصناعات والحرف والمهن التراثية المهمة، مثل صناعة الشوش وغيرها.

عبدالعزيز المسلّم يتفقّد أعمال القرية التراثية بخورفكان

«الشارقة للتراث» يستعرض مراحل إحياء القرية التراثية بخورفكان بحضور «الإنماء السياحي»

اجتمع سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، مع وفد هيئة الإنماء التجاري والسياحي بالشارقة، برئاسة سعادة خالد جاسم المدفع، رئيس الهيئة، بمقر المعهد في خورفكان بحضور الأستاذ خالد الشحي، مدير فرع المعهد بخورفكان، والأستاذ أحمد الدح، مدير إدارة الممتلكات التراثية، والأستاذة أشواق يوسف النقبي، مسؤولة مكتب المنطقة الشرقية بهيئة الإنماء التجاري والسياحي في خورفكان، والأستاذ سهيل بطي، مدير بيت الألعاب الشعبية.

وخلال الاجتماع تمت مناقشة أعمال مشروع إحياء المناطق التراثية لمدينة خورفكان، وعرض فيديو توضيحي للمنطقة التراثية، كما زار الوفد منطقة خورفكان التراثية.

تعاون مشترك بين «الشارقة للتراث» و«الدفاع المدني»

ضمن الإجراءات التحضيرية التي يقوم بها معهد الشارقة للتراث؛ لتجهيز القرية التراثية بخورفكان، وتوفير كل الإجراءات اللازمة، بما فيها الأمن والسلامة، اجتمع فريق من معهد الشارقة للتراث، مع وفد من «الدفاع المدني»، بمقر المعهد في خورفكان، وتبادل الطرفان الأفكار والمقترحات حول الآليات والإجراءات الضرورية، التي يتوجب اتباعها لتحقيق الأمن والسلامة في القرية التراثية بشكل دائم، وقدّم فريق المعهد مقترحه والاحتياجات التي يتطلع إلى توفيرها من قبل الدفاع المدني، كما قدّم فريق الدفاع المدني شروحاً حول أنجع السبل الكفيلة بتحقيق الهدف المنشود.

واتفق الطرفان على التعاون المشترك، والتنسيق الدائم في هذا المجال، كما تكفّل «الدفاع المدني» بتوفير خدمات وإجراءات الأمن والسلامة بشكل دائم في المنطقة، تعزيزاً لسلامة المجتمع وحمايته.

«الشارقة للتراث» ينظّم إفتراضياً «اليوم الثقافي البحريني في الشارقة»

إبراهيم سند، حافظ عبدالغفار، منّي بونعامة خلال الندوة

إحياء لذكرى الأسابيع الأولى من برنامج أسابيع التراث العالمي، نظّم معهد الشارقة للتراث «اليوم الثقافي البحريني في الشارقة»، عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بهدف تعريف الجمهور والزوّار والمتابعين بتراث مملكة البحرين، ومخزونها الثقافي، من خلال فعاليات متنوّعة، من ندوات ومحاضرات وورش وأنشطة مختلفة.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث اليوم الثقافي البحريني في الشارقة: يستمرّ معهد الشارقة للتراث في الاحتفاء بتراث الشعوب وثقافات الأمم، ضمن أسابيع التراث الثقافي العالمي، التي تندرج في صميم الرؤية الثقافية المستنيرة لمشروع الشارقة الثقافي والتراثي، بقيادة

صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، الداعم للتراث، والقيّم على الثقافة وشؤونها وشجونها، وتوجيهاً سديداً منه للانفتاح على تراث العالم، بما يحمله من قِيم ومُثل، والاحتفاء به في أسابيع تراثية، حوّلت الشارقة إلى وجهة عالمية للتراث الثقافي بعناصره ومكوناته كافة.

وأضاف أكثر من عشرين دولة من مختلف أنحاء العالم استضافها برنامج الأسابيع التراثية في السنوات الماضية، استعرضت تراثها وما يزخر به من تنوّع وغنى، وتعرّفنا إلى العادات والتقاليد والحِرف اليدوية والفنون الشعبية والعروض الأدائية بأشكالها وألوانها كافة، فضلاً عن التراث الفني والقيمي، الذي يشغل حيّزاً مهماً من ذاكرة الأمم والشعوب من خلال الدول المستضافة.

وأوضح أن القائمة تشمل دولاً من الخليج العربي والعالم العربي، وجنوب شرقي أوروبا، وشمال أوروبا، وآسيا الوسطى، وأمريكا الجنوبية، من بينها: البحرين، عُمان، المغرب، مصر، السودان، فلسطين، العراق، مقدونيا، قيرغيزيا، إيطاليا، فنلندا، تشيلي، الصين، مالطا، نيوزيلاندا، طاجيكستان.. وغيرها.

وقال المسلّم: «هكذا فتحت أسابيع التراث العالمي نافذة جديدة على العالم، عكست أهمية التراث، وضرورة تبادل المعارف والخبرات والتجارب معها، من أجل الاستمرار في حفظ وصون التراث الثقافي، وحمايته ونقله للأجيال القادمة، بصفته مكوناً حضارياً كبيراً، ورمزاً من رموز الهوية والخصوصية لكل شعب وبلد وأمة».

اليوم الثقافي البحريني

عائشة عبيد غابش
رئيسة لجنة أسابيع التراث العالمي في الشارقة

بعد مرور العالم بجائحة «كوفيد 19»، وتوقف الأنشطة والبرامج الثقافية بشكل مفاجئ؛ لحماية شعوب العالم من الإصابة بهذا الفايروس، لم نتوقف عن العمل عن بُعد، فقد تم وضع بعض الأفكار والخطط المستقبلية؛ لمواصلة مسيرة العمل في معهد الشارقة للتراث، وتنشيط الفعاليات بعد أن تهدأ الأوضاع، ولأهمية برنامج أسابيع التراث العالمي في الشارقة، في دعم التراث الثقافي، والاستمرارية في بناء العلاقات الثنائية بين دول العالم كافة، جاءت فكرة استكمال هذا البرنامج الثقافي القيّم، ولكن بطريقة مختلفة ومبسّطة؛ لتصل بطريقة واضحة إلى محبي التراث والباحثين والمهتمين.

اليوم الافتراضي الثقافي لمملكة البحرين، كان أول البرامج بعد تخطي العالم هذه الأزمة، وعودة الحياة بشكل شبه طبيعي في الدولة، بدأنا بالإعداد لتذكير أنفسنا والجمهور بالدول التي تمت

استضافتها في عام 2016، بداية برنامج أسابيع التراث العالمي في الشارقة، فقد كانت البحرين أول دولة تمت استضافتها كدولة مشاركة، وتم التواصل مع الأخوة والأساتذة الباحثين في مملكة البحرين، وعرض فكرة البرنامج الافتراضي، وكانت التجاوب، ولله الحمد، إيجابياً ومبشّراً، فتنوّعت المشاركة ما بين العروض الفنية والحرف التقليدية والمطبخ البحريني التراثي، والمتاحف الشخصية والأزياء البحرينية، وأقدم البيوت، وفقرة مميزة عن المفردات البحرينية، وعرض للبشتختة، بالإضافة إلى البرنامج الفكري الذي عرض في الفترة المسائية: محاضرة بعنوان «ملامح من التراث البحريني»، للباحثين إبراهيم سند وحافظ عبدالغفار.

تضمن برنامج اليوم الثقافي البحريني الافتراضي، لقطات لمشاركة البحرين في أسبوع التراث البحريني الثقافي في الشارقة، الذي أقيم في يناير 2016، وكان قد شرّفنا صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، بحضوره ولقائه المشاركين، مما كان له كبير الأثر في ضيوف الشارقة.

كانت تجربة جميلة وناجحة، ولله الحمد، وسنواصل العمل على نجاح هذا البرنامج، والاستمرار فيه، حيث ستتم استضافة المغرب في أغسطس، ويتم التركيز على المستثمرين المغاربة في الدولة، المحافظين على الإرث المغربي في أنشطتهم وتجارتهم، وفي شهر سبتمبر سنستضيف جمهورية مصر العربية، إن شاء الله.

البرنامج الثقافي

تضمن البرنامج الثقافي: عرضاً لفن الفجيري البحريني، وحرفة الكورار، والألعاب الشعبية من تسجيلات أسبوع التراث البحريني 2016، والأكلات الشعبية في البحرين، والحرف البدوية، والأزياء الشعبية، وعرض ثوب النشل البحريني (البشتختة)، ومقتطفات من متحف صالح الحسن، وعرض فن الليوة.

أقدم بيوت المحرق

كما تم عرض فيلم عن بيت الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، الذي تميز بالطابع الإسلامي، ويتكوّن من أربع باحات، ويتميز ببساطته في التخطيط والتصميم المعماري، وبنقوشه الجصّية التي تعد من الطراز البحريني القديم.

ملامح من التراث البحريني

وشمل البرنامج الفكري المصاحب ندوة بعنوان: «ملامح من التراث البحريني»، قدّمها الباحثان البحرينيان إبراهيم سند وحافظ عبدالغفار، وأدارها الدكتور مني بونعامة.

أكد إبراهيم سند أن السنوات الأخيرة في البحرين، شهدت اهتماماً ملحوظاً بمادة التراث الشعبي، على الصعيدين الرسمي والأهلي، حيث تم طبع العديد من الكتب والدراسات والبحوث التي تعنى بمجال التراث الشعبي، ككتب الأمثال الشعبية والحكايات والأزياء والموسيقى والغناء الشعبي، إضافة إلى الكتب المعنية بثقافة الأطفال، والتي تغطي الألعاب الشعبية والألغاز والقصص والأشعار.

وأضاف: كما اهتمت كل الوسائل الإعلامية، كالصحافة والإذاعة والتلفزيون، بنشر وبث البرامج

المكثفة، حول العديد من الموضوعات التي تدور في نطاق التراث الشعبي، كل ذلك يعطينا مؤشراً واضحاً إلى أن الاهتمام بالتراث في البحرين، قد تخطى المراحل البدائية الأولى، التي انبثقت في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، حيث كان الاهتمام بجمع مواد التراث الشعبي، يتم عن طريق بعض الجهود الفردية المخلصة من أبناء هذا الوطن، وكان الحافز الوحيد الذي يدفعهم بقوة نحو الثقافة الشعبية هو الدافع الذاتي، والشغف الجاد في تسجيل وحفظ ما خلفه لنا الأجداد من ميراث ثقافي، ونستطيع القول إنه مع بداية الثمانينيات، وتحديداً في عام 1983، عندما تم تأسيس إدارة المتاحف والتراث، التابعة لوزارة الإعلام آنذاك، وعن طريق قسم الدراسات والبحوث، تم جمع مواد التراث الشعبي في مجال الحكايات الشعبية، والصناعات التقليدية، والأغاني الشعبية، والأزياء والعادات والتقاليد، وقد تم تسجيل هذه المواد التراثية على أشرطة الكاسيت والفيديو والصور الفوتوغرافية، باتباع الطرق الحديثة في الأرشفة؛ لتسهيل المهمة على الباحثين والدارسين؛ للاستفادة من هذه المواد على أوسع نطاق.

أكد الباحث حافظ عبدالغفار أن أصحاب المتاحف المنزلية بمملكة البحرين أغلبهم أعضاء في جمعية البحرين لهواة الطوابع، وشاركوا في العديد من المعارض التراثية المقامة في البحرين ودول الخليج، كما شاركوا في العديد من الدورات المتخصصة في مجال التراث الشعبي، وهم حاصلون على العديد من شهادات التقدير؛ لمشاركاتهم في المعارض والمهرجانات.

وأضاف عبدالغفار: عادة ما يبدأ شغف صاحب المتحف بالتراث مبكراً، فنجده يهتم بشؤون التحف والأنتيكات والهوايات كالطوابع والعملات والبطاقات والمراسلات والوثائق، بعضهم نجده يستأجر بيتاً أو يحوّل غرفة في منزله إلى صالة مخصصة لعرض مقتنياته، ويزوره بحرينيون ومقيمون يتجولون في غرفه كأنهم يشهدون مراحل من تاريخ البحرين، تحت سقف واحد.

وخلال التجول في هذه المتاحف، يستحضر الزائر عبق الماضي، ونكهة التاريخ، ويخرج بانطباعات لا تنسى، وذكريات مبهجة تخلد في الذاكرة.

قلعة البحرين. وتعرف باسم حصن البحرين وهي من أبرز المعالم الأثرية

«موروثنا في كتاب» تستعرض إصدارات المعهد

أطلق معهد الشارقة للتراث مبادرة «موروثنا في كتاب»، التي تعنى بتعزيز مكانة الكتب والموضوعات التراثية، والموروث الإماراتي الغني، والموجود على صفحات كتب متميزة، من خلال استقطاب مجموعة من الكتّاب والباحثين الذين أصدر لهم المعهد كتباً؛ لتقديم شرح مفصّل ودقيق جداً عن مجمل ما جاء في الكتاب، من خلال محاضرة على مواقع التواصل الاجتماعي ومن بين الكتب المشمولة.

«موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي»، لسعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، حيث أكد أن الكائنات الخرافية بأشكالها وأهوالها، سواء أكانت في إطار الحكايات الخرافية أم خارجها، وإن كانت قديماً تروى مشافهة ولا تفسّر، كانت جميع عوالمها محجوبة معزولة عن التداول والمناقشة، وهناك حوادث وكوارث شخصية وعامة حدثت في الماضي، ونُسبت، أحياناً، إلى الخوض في مثل هذه الأمور.

أما الحكاية الخرافية في هيئتها العامة، فتدخل ضمن أقسام الأدب الشعبي، أما في صفتها الخاصة ومضمونها فتأتي ضمن المعتقدات الشعبية وصيانة التقاليد، فكان لكل انحراف خلقي أو انحلال اجتماعي كائن خرافي مخيف، مهمته ردع من تجرّأ على تجاوز تلك الحدود. والآفات الاجتماعية كثيرة، مثل الحسد والبغي والسرقة والزنا والخيانة والجشع والظلم وغيرها.

ملف العدد

النجوم و الطوالع في التراث العربي

الطوالع والنجوم عند أهل الإمارات

تحقق العلوم المرتبطة بالطبيعة منظومة متجانسة يصعب فصل علاقة أحد فروعها عن الأخرى، فارتباط الملامح الجوية بالغطاء النباتي الطبيعي والمستأنس، وكذلك ارتباط هذا الغطاء بالرعي والصيد، إضافة إلى الطبيعة التضاريسية للمنطقة، وموقعها الجغرافي، ودور المسطحات المائية في التأثير في هذه المنظومة الطبيعية والبيئية المتجانسة.

إبراهيم الجروان
باحث وخبير فلكي – الإمارات

أخذت المعارف الفلكية أهميتها في تنظيم المظاهر الطبيعية، أو بالأدق وضع تقويم يصف هذه المظاهر والتغيرات على مدار العام، وإسقاطها في موعد طلوع أو مغيب نجوم معينة، واستعملت كتقاويم تصف تغيرات الحرّ والبرد، وأوقات هطول الأمطار، وهبوب الرياح، وهيجان البحر، كما تصف وقت الزرع والحصاد، وغرس الأشتال، ونقل الفسائل، إضافة إلى معرفة أوقات الرعي، والطيور المهاجرة، ومواسم نتاج الماشية وغير ذلك.

لم تقتصر معرفة النجوم على ذلك، بل كان لها دور كبير في الاسترشاد الملاحي، ومعرفة الاتجاهات، والموقع الجغرافي، وأوقات نشاط الرياح الموسمية، والتيارات البحرية التي تساعد على بلوغ الرحلة أهدافها، مما كان له عظيم الأثر في ازدهار المنطقة وترابطها مع دول العالم الأخرى، فلقد كانت دولة الإمارات (ودول الخليج العربي كمنظومة اجتماعية متقاربة ومتجانسة) منطقة انطلاق وتلاقٍ للسفن التي تمخر عباب البحر متجهة إلى الهند وسواحل شرق إفريقيا والعراق، كما يذكر التاريخ ارتباط البحارة العرب كذلك بالبحارة الصينيين، وأشهرهم (شنغ خه)، ويسمى بالعربية (حجّي محمود شمس الدين) كان بحاراً صينياً مسلماً، ولد عام 1371م، وتوفي عام 1433م، قام برحلات عديدة، زار فيها البلدان التي تقع على سواحل المحيط الهندي وجنوب آسيا وإفريقيا،

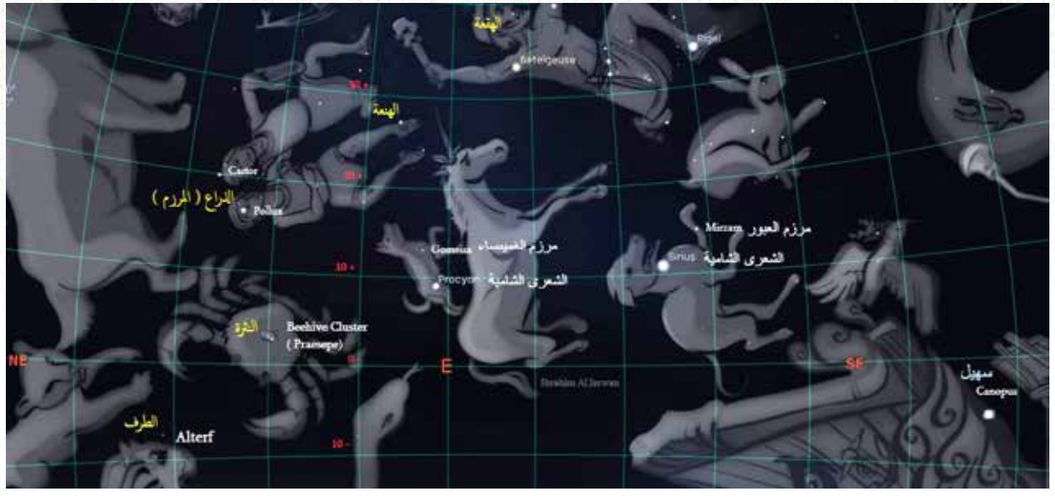

وصل إلى منطقة الخليج والبحر الأحمر ومكة المكرمة، وكان ذلك في سبع رحلات بحرية، استغرقت 28 عاماً، حاملاً معه بضائع كثيرة من المنسوجات الحريرية والمجوهرات والعقاقير الطبية الصينية.

أما من أهل المنطقة فبزغ نجم المـلّاح العربي أحمد بن ماجد، الذي عاش بين عامي 1418م و1501م، كما تم تقديره، وتشير أغلب المصادر إلى ولادته في جلفار، فقد وصفها بقوله في إحدى قصائده:

رعى الله جلفار ومن قد نشا بها
وأسقى ثراها واكفاً متتابع
بها من أسود البحر كل مجرب
وفارس بحر للشدائد بارع

كان خبيراً ملاحياً في البحر الأحمر وخليج عدن (خليج بربرا)، والمحيط الهندي (بحر الهند)، ومضيق ملقا وصولاً إلى بحر الصين الجنوبي، وهو أشهر من كتب في موضوع المرشدات البحرية الحديثة.

النيروز العربي القديم

ذكر ابن ماجد تقويماً عربياً قديماً (النيروز العربي)، وذكر مبدأه مع طلوع نجم (الإكليل) أو (إكليل العقرب)، وهو أحد المنازل النجمية والطوالع، ضمن حزام البروج التي يتتبع العرب مواعيد طلوعها وغروبها، وينسبون الوقت إليها، وطلوع نجم إكليل العقرب من الأفق الشرقي بالغداة «الوقت بين الفجر وطلوع الشمس» يكون بين 28 نوفمبر و7 ديسمبر، وهو يختلف عن «نيروز الفرس» الذي يحل مع الاعتدال الربيعي في 20/ 21 مارس، أو «النيروز الهندي» الذي يبدأ في 11 أغسطس مع انتهاء وقت «المانسون»، هي الرياح الموسمية التي تتسبب في أمطار غزيرة على الهند خلال الصيف، ووصف ابن ماجد بداية اشتداد «رياح الكوس»، وقال إنها تشتد في 200 نيروز ونهايته في 290 نيروزاً، في حين تشتد «رياح الأزيب» في 320 نيروزاً، وفصّل ابن ماجد في وصفها في كتابه المشهور «الفوائد في

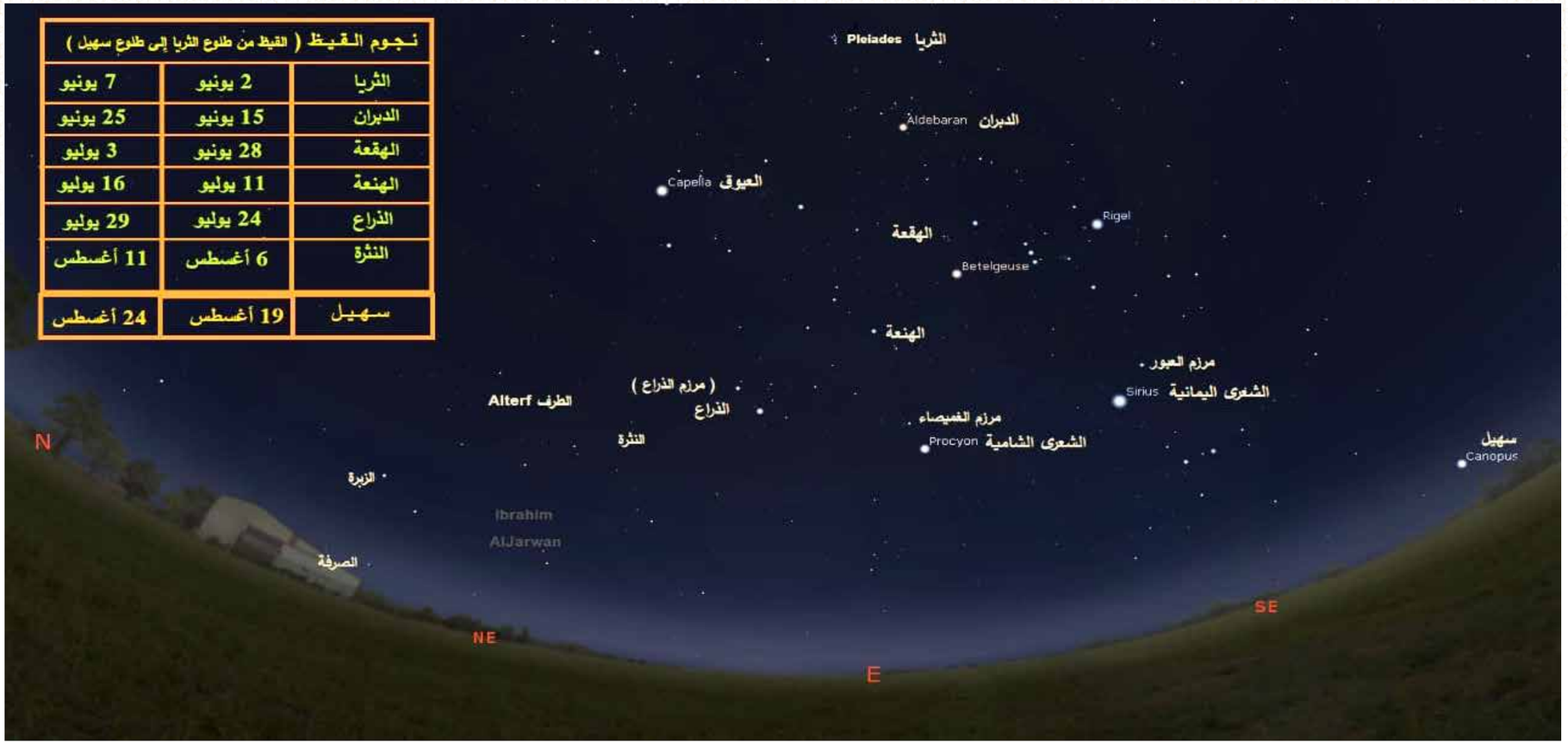

نجوم القيظ (القيظ من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل)		
الثريا	2 يونيو	7 يونيو
الدبران	15 يونيو	25 يونيو
الهقعة	28 يونيو	3 يوليو
الهنعة	11 يوليو	16 يوليو
الذراع	24 يوليو	29 يوليو
النثرة	6 أغسطس	11 أغسطس
سهيل	19 أغسطس	24 أغسطس

أصول علم البحر والقواعد»، ولايزال البحّارة في الإمارات والخليج يستعملون هذا التقويم إلى عهد قريب في سفراتهم.

المنازل القمرية:

برز العرب في علم الفلك ومعرفة الأنواء، حيث قسموا السنة إلى مواسم وفصول تمثلها أنواء ونجوم معينة محددة، ومعروفة في القبة السماوية، وقسموا القبة إلى 28 جزءاً، كل جزء يمثل منزلة وفسحة ينزل بها القمر ليلة واحدة، وتنزل الشمس في كل واحدة 13 يوماً، وكل منزلة منسوبة إلى نجم أو مجموعة نجوم تمثلها.

المنازل عددها ثمانية وعشرون، وهي: الشرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانا، الإكليل، القلب، الشولة، النعايم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، المقدم، المؤخر، الرشا.

غالباً ترى 14 منزلة ظاهرة في القبة الفلكية، وعندما تطلع منزلة في الشرق. ويطلق عليها العرب «الطالع». تغرب منزلة أخرى في الغرب. ويطلق عليها العرب «النو» و«الطلوع» و«النوء» يكون بالغداة والوقت بين الفجر وطلوع الشمس، وكذلك يطلق العرب على غيوب النجم وسقوطه في الأفق الغربي مع غروب الشمس (الغيوب) أو (السقوط)، وأكثرها شهرة (سقوط الثريا) الذي يكون في نهاية إبريل لتبدأ (كنة الثريا) قرابة أربعين يوماً، إلى أن تطلع فجراً مطلع يونيو.

ورأس هذه المنازل القمرية هو (الشرطان)، ويكون طلوعه بين 29 إبريل و12 مايو على اختلاف الحسابات، وغالب أهل الخليج يحسبون طلوعها بين 9 و12 مايو.

تقويم الدرور:

«تقويم الدرور» حساب فلكي قديم، يستعمل في المنطقة لوصف المظاهر الطبيعية المحلية في وقت معين يعرف بالدر، وهي فترة مدتها عشرة أيام، تتشابه في الخصائص الطبيعية والصفات المناخية، مبتدأ التقويم مع طلوع النجم (سهيل) خلال النصف الثاني من شهر أغسطس، وبالتحديد خلال الفترة بين 18 و24 أغسطس في وسط الجزيرة العربية والإمارات، تقسيم أيام السنة بشكل عشري إلى (36) قسماً، كل قسم عشرة، يعرف كل قسم بـ(الدّر)، فمبتدأ التقويم در العشر، ثم در العشرين، ثم در الثلاثين... حتى تمام المائة، ثم تعاد الحسبة مرة أخرى بدر العشر، ثم در العشرين، ثم در الثلاثين... حتى تمام المائة، وتوصف المائة الأولى (مائة الصفري)، والمائة الثانية (مائة الشتاء)، والثالثة (مائة الصيف)، وما تبقى من السنة نحو 65 يوماً تكون هي (القيظ)، ولا تكمل المائة، في هذا التقويم هناك وصف لكل در، منها (أربعين المريعي) مع بداية در الأربعين من مائة الشتاء، وتتصف بغاية البرد وذروة الشتاء، وتشكّل الصقيع، وفيها برد (برد الستين) في در الستين يوصف بأنه «يدمي كالسكين»، ثم (الأربعين عقربي)، وهي من بداية در الثمانين الشتوي إلى نهاية عشر الصيف، وتمتاز بهطول الأمطار وشموليتها، وفيها (شمال الثمانين)،

وهي أقوى ريح شمال سنوية، والتسعين تتصف بدفء عام، ثم يعود البرد في تمام المائة من (مائة الشتاء)، وتنشط فيها (رياح النعايات)، آخر رياح باردة تنعى برد الشتاء.

حساب «الدرور عند أهل الجبال»

يتبعه بعض قاطني جبال الحجر في الإمارات ومسندم، وهو على هيئة تقويم الدرور، ويبدأ مع 17 يوليو، ويقال دخول الربعية، وكذلك دخول العشر الأولى، ويطلق عليها عشر البكير، وتليها عشر النيروز، وبعد 52 يوماً من دخول الربعية يطلع سهيل.

حساب «الكوي»:

وهو حساب يتبعه البحارة في الساحل الشرقي من الإمارات وفي عمان، يبدأ مع طلوع نجم (الكوي) أو (نجم النسر الواقع)، وهو نجم يطلع قبيل منتصف ديسمبر (10 ـ 15 ديسمبر) من الجهة الشرقية فجراً، ويأخذ الحساب بالعشرات كحساب الدرور، وبطلوع (الكوي) يبدأ طلع النخل في الظهور، ويعدّ طلوع الأحيمر أول الشتاء وأوانه بحدود 20 ديسمبر، ومع طلوع نجم (الشعرى) في نهاية يوليو يبدأ موسم حصاد الثمار وجداد النخل، وإذا ظهر (الجنب)، فموسم تجفيف التمور.

وقد وثّق البحارة منذ القدم خلاصة تجاربهم في الاهتداء بالنجوم كعلامات زمانية ومكانية يهتدون بها في البر والبحر، ويوقتون بها فترات مواسم الصيد والأنواء المتاخية على مدار العام، مبتكرين تقويماً ملاحيّاً يعتمد على سلسلة من النجوم الزاهرة بالقبة السماوية، يستدلون بها على مواسم ضربات البحر (أي الأعاصير)، لتجنب مخاطرها.

ومن أهم الضربات المحلية وأشهرها اللحيمر (الأحيمر) اللحيمر، وهو نجم لامع في السماء يميل لونه إلى الاحمرار، ويدعى عربياً نجم السماك الرامح في برج العواء، وهذا يؤكد تسمية الصيادين له باللحيمر؛ لكون شعاعه يقع في نطاق اللون الأحمر من الطيف المرئي، وتكون الضربة في فترة طلوع النجم عندما يلمح بعيد صلاة المغرب في نهاية أكتوبر أو بداية نوفمبر بجهة الغرب، وضربة اللحيمر عبارة عن رياح قوية تؤدي إلى هيجان البحر، وارتفاع الموج عالياً، ومنهم من يعد نجم اللحيمر قلب العقرب.

وضربة الشلي، والشلي: بفتح الشين وتشديد اللام الهواء القوي، الطوفان بطلوع نجم العيوق مع نهاية مايو وبداية يونيو، وهي أقرب إلى الوصف بالعواصف المدارية أو الأعاصير المدارية التي تضرب بحر العرب ذلك الوقت.

وضربة اللكيذب وموعدها بين 10 و22 أكتوبر، وضربة الكوي، وموعدها النصف الثاني من ديسمبر، بيد أنها لا تتكرر كثيراً.

وعادة بعد هذه الضربة تتوافر بعض الأسماك، ويبدأ موسم العوض للصفيلح وصيد الشعري.

إن دخول الأودية إلى البحر التي تصاحب الضربات له دور في خصوبة قاع البحر وازدهار ونمو المراعي، مما ينشط تكاثر الروبيان والشارخة واجتذاب الأسماك، وزيادة وفرتها بعد صفاء مياه البحر أو بعد حين.

«أمطار البلي» أربعون يوماً، تبدأ من در الخمسين في هذا الحساب؛ أي تبدأ بين 20 و30 يناير، مع تفتح البلي أو أزهار الليمون.

النجوم وأثرها في تاريخ أهل الخليج

صخر سيف
باحث فلكي

للنجوم أثر بالغ في حياة أهل الخليج منذ قديم الزمان، لكن يصعب تحديد ذلك بتاريخ أو سنة معيّنة، وقد تركت هذه النجوم في وجدان الذاكرة الشعبية كثيراً من الآثار، سواء في الأشعار ذات الألفاظ الجزلة، أو في القصص الجميلة التي اختلط بها الخيال والأساطير الغريبة.

كما كان للنجوم الأثر البالغ في الحياة اليومية العملية، سواء في البر أو البحر، ففي البر استخدم الأجداد هذه المعرفة لتحديد مواسم الزراعة وحصد المحاصيل، وكذلك استعانوا بالنجوم في الأسفار عبر الصحراء الواسعة، وتحديد تواريخ بدء السفر. وفي البحر استخدم الأجداد النجوم لمعرفة الاتجاهات أثناء سفرهم إلى الهند واليمن وسواحل إفريقيا الشرقية، والاهتداء إلى مصايد المحار (الهيرات) للبحث عن اللؤلؤ. والتنبؤ بأحوال الطقس، وموعد ضربات الرياح الخطرة لتجنبها.

الدب الأكبر - بنات نعش

كما استخدمت النجوم في تحديد بعض العادات الاجتماعية، كالحجامة والارتحال إلى المناطق الأقل حراً أيام الصيف وغير ذلك.

ومن أشهر هذه النجوم نجم سهيل الذي طغى اسمه على بقية النجوم، وحيكت حوله الأساطير

ماذا قال عنه العرب؟

لهذا النجم مسميات عدة عند العرب؛ فهم يسمونه البشير اليماني، ويسمونه نجم اليمن، ويسمونه سهيل اليماني، وأطلقت عليه مسميات عديدة أخرى، مثل: عريس الجنوب أو سهيل الهدار، أما سبب نسبته إلى اليمن فلأنه يطلع من جهة جنوب الجزيرة العربية؛ أي من جهة اليمن. ولعل من الجدير ذكره أن اسم النجوم اليمانية يطلق على جميع النجوم التي تقع في صفحة السماء من جهة الجنوب.

وهو من أكثر النجوم إثارة وشهرة على ألسنة العرب؛ فهو نجم ساطع ويتلألأ بشكل كبير، مغيراً لونه بسرعة كبيرة بين الأزرق المخضر والأحمر والأصفر[1]، وقد شبهه بعض الشعراء بقلب المحب سريع الخفقان، بالإضافة إلى كونه نجماً ساطعاً ومنفرداً؛ ولهذا قال عنه أبوالعلاء المعري (الشاعر العباسي المعروف، رغم أنه كفيف ولم يرَ سهيلاً)، في قصيدته الشهيرة «عللاني»:

وسهيل كوجنة الحِب في اللون
وقلبِ المحب في الخفقان
مستبداً كأنه الفارس المعلم
يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح في احمرار كما
تسرع في اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الأعادي
فبكت رحمة له الشعريان

وقال مالك بن الريب يوصي أصحابه في حال وفاته:

أقول لأصحابي ارفعوني فإنني
يقر لعيني أن سهيلاً بدا ليا
بأن سهيلاً لاح من نحو أرضنا
وأن سهيلاً كان نجماً يمانياً

وغير ذلك الكثير، ومن الشعر النبطي جاءت الأشعار الجميلة تتغنى بسهيل:

كما يصف أحد الشعراء فرحته وفرحة أهل البر والبحر بظهور هذا النجم، فيقول:

يا سهيل ما به نجم مثلك يماريك
وسيرتك بين الناس كل ذكرها
تفرح بك العربان لا حل طاريك
وبرجك على برج الثريا وأثرها
أغليك أنا يا نجم وأرقب مساريك
والأرض مثلي ايتغير شجرها
بوقت الشتا والصيف وحنا بحراويك
وأحوال كل الناس عندك خبرها

ويقول شاعر آخر:

الله حسيبك يا سهيل اليماني
عجل على النخل بالصرامي

ويقول الشاعر سمير الهرشاني، رحمه الله:

متى يقال سهيل عقب الغبا شيف
واعقب سموم القيظ حلو البرادي
واقفى ثمر حدب الجريد المهاديف
والبدو تطري شدة للمنادي

قطب الياه - الدب الأصغر

الأفق الجنوبي الشرقي — سهيل والشعرى اليمانية

يقول أحد الشعراء مؤكداً هذه الظاهرة:

هبت هبوب النفانيف والصيد خلى مقاييله
وسهيل عقب الغباشيف والبر كثروا نزازيله

ويميل بعضهم إلى الترحال والخروج للبر، فيقول الشاعر مشعل الحربي قرب طلوع سهيل:

يا هل المكاشيف والصيف زل وطلعة البر نوماس

وقد كان لهذه التحولات والبشائر المنتظرة للنجم سهيل أثر كبير في مشاعر التلهف والانتظار في أغلب مناطق الجزيرة العربية، فعلى سبيل المثال، كان بعض العرب قديماً ينتظرون طلوع النجم سهيل

قلب العقرب

بفارغ الصبر، لدرجة أن الناس بعد 25 أغسطس يستيقظون لساعات عدة قبل الفجر، ليروا ما إذا كان بإمكانهم رؤية النجم سهيل، وهاكم بعض ما قيل عنه:

«إذا طلع سهيل تلمس التمر بالليل» (إشارة إلى كثرة التمر وتوافره بمختلف أنواعه).

وتقول العامة: «إذا طلع سهيل لا تأمن السيل وتلمس التمر بالليل».

«إذا طلع سهيل برد الليل ورفع الكيل وخيف السيل». ويعني ذلك بداية لسقوط الأمطار، ولكنها بشكل نادر جداً، وبداية لكثرة الرطب وبداية تلطف الجو.

«إذا طلع سهيل طاب الليل وامتنع القيل ولأم الفصيل الويل».

وكانت العرب تقول: «إذا طلع سهيل برد الليل وخيف السيل وكان للحوار الويل»؛ لأنه يفصل عن أمه. وكان العربي إذا أراد ذلك أخذ بأذن الحوار، واستقبل به سهيلاً يُريه إياه، ثم يحلف بألّا يرضع من أمه بعد يومه، وذلك بحجة أن أيام الحر والكلفة قد انتهت، وبدأت أيام البرد ولطيف الهواء.

«إذا طلع سهيل رفع كيل ووضع كيل».

«إذا طلع سهيل برد الليل، وخيف السيل، وامتنع القيل، ولأم الفصيل الويل، ورفع الكيل».

وقالوا: «الصيف أوله طلوع الثريا، وآخره طلوع سهيل».

أساطير عربية مشوقة حول «سهيل»

ربط العرب في شبه الجزيرة رؤية «سهيل» بأساطير عديدة، إلا أن الأسطورة الأكثر شهرة تقول: إن سهيلاً هرب من عشيرته بعد مشاجرة مع زوجته وقتلها، وخوفاً من الثأر من إخوانها التجأ إلى جنوب السماء وحيداً، لا يجاوره أي نجم، ولحقت به أختاه الشعرى الشامية، والشعرى اليمانية، واستطاعت اليمانية أن تعبر النهر بالسماء «المجرة أو درب التبانة»، واقتربت منه، إلا أن الأخت الأخرى بسبب وهنها لم تستطع أن تعبر النهر،

الديرة وهي البوصلة التي يستخدمها النواخذ للتعرف على الإتجاهات وهم يمخرون عباب البحر

دائرة الدرور بدون مفتاح

وبقيت في مكانها شمال النهر، وغدت تبكي على أخيها دهوراً، حتى غمُصَتْ عيناها، وتسمى الآن الشعرى الشامية أو «الغميصاء».

وبنات نعش يعرفن باسم «الدب الكبير»، ويظهرن في الجزء الشمالي طوال العام، ومازلن منذ ذلك الزمان وهن يحملن نعش أبيهن ويطاردن سهيلاً الهارب إلى الجنوب، والذي يظهر لأشهر عدة، ويعود ليختفي عن الأنظار، ومنذ تلك القرون البعيدة لم ينلن ثأراً من سهيل، ولا دفنَّ أباهنّ، ولا استراحت أجسادهن. (وهذه القصص والأحاديث إنما هي من الأساطير التي انتشرت عند العرب في فترة ما قبل الإسلام).

أما في حياتهم اليومية، فقد ابتدعوا الأدوات الخاصة بالإبحار كـ«الديرة»، وهي بوصلة كتبت عليها أسماء النجوم بدلاً من قيمة الزوايا المحددة للاتجاهات، كما ابتدعوا تقويماً يسمى حسابات الدرور؛ لاستخدامه في التنبؤ بأحوال الطقس، ومعرفة مواسم الزراعة، ومواسم الأسماك وهجراتها، ومواسم هجرة الطيور.

ويقوم تقويم حسابات الدرور على عد أيام السنة، بتقسيمها إلى درور، ومفردها «در»، وهي كلمة تعني 10 أيام لكل در. وكل فصل له عشرة درور (100 يوم)، عدا فصل القيظ الذي مدته (65) يوماً.

وتبدأ مرحلة العد في بداية السنة السهيلية، وذلك

عند ظهور النجم سهيل، مع الاختلاف في تاريخ بدء ظهور النجم سهيل. وبعضهم يبدأ العد عند ظهور نجم الكليبين، وهي فترة تسبق ظهور النجم سهيل بفترة قصيرة، فيما يسمى بحساب النيروز.

وقد لخص الراوي جمعة بن حميد في مقالته الرائعة المعنونة: «الدرور.. جغرافيا الحياة»، التي نشرت في صحيفة «الاتحاد» بتاريخ الخميس 27 أكتوبر 2016 ما نصه:

«حساب الدر توارثناه عن الأجداد، ونحن لا نعرف أصل التسمية، لكنها تعني طريقة حساب، إنه جغرافيا الحياة على تلك الأرض الطيبة، فمنذ عاش الإنسان على هذه الأرض، وقبل اختراع أجهزة الرصد الفلكية الحديثة، ارتبطت حياته وطرق معيشته بالظواهر الفلكية، لأسباب مختلفة، بحرية وزراعية وتجارية وسياسية واجتماعية ودينية، وذلك لمعرفة مواعيد الخروج إلى البحر والصيد، ومواقيت الصلاة، واتجاه القبلة، والصوم والإفطار، وتوقيتات الزراعة، ورعي الماشية، وجني المحاصيل، وتوزيع حصص مياه الأفلاج، وإداراتها، وفق نظام يضمن عدالة التوزيع. وذلك من خلال رصد الكواكب والنجوم وتوقيتاتها، وربط حصص المياه وفق فترات زمنية مرتبطة بلحظة بزوغ النجم وأفوله».

ومن مجمل هذه الإبداعات تظهر لنا أسماء أهم النجوم التي استخدمت في حسابات الدرور أو في نجوم الديرة التي لا ترتبط بنظام عد الدرور.

نجوم الديرة

لأهل البحر تسميات أخرى لبعض النجوم والأنواء، ويتخذون مواقعها مجرى لسفنهم، ويستدلون بها

على الاتجاهات من خلال الديرة (البوصلة)، مثل: قطب الياه - والفرقد - ونعش - وناقة - وعيوق - وواقع - وسماك - وثريا - وجوزاء - وتير - وإكليل - وعقرب - وحمارين - وسهيل - وسلبار.

- قطب (قطب الياه): النجم القطبي أو نجم الشمال.
- الفرقد: الفرقدان، وهما في برج الدب الأصغر (وتسميه العرب بنات نعش الصغرى).
- نعش (بنات نعش): الدب الأكبر.
- الناقة (سنام الناقة): كف الخضيب في برج ذات الكرسي.
- عيوق: هو نجم لامع، بل ألمع نجم في برج ممسك الأعنة.
- واقع: النسر الواقع.
- سماك: السماك الأعزل من برج العذراء.

- ثريا: مجموعة الثريا.
- جوزاء: الصياد الأكبر، وبعضهم يطلقها على برج التوأم.
- تير: الشعرى اليمانية ألمع نجم في السماء، يُطلق عليه أهل البحر اسم «التير»، ويسميه أهل البادية «المرزم».
- إكليل: الإكليل في برج العقرب.
- عقرب (العقربي): قلب العقرب.
- حمارين: الحمار الشمالي والحمار الجنوبي من برج السرطان.
- سهيل: النجم سهيل في برج السفينة.
- سلبار: ونجم القطب الجنوبي جهة الجنوب، إلا أن نجم القطب تصعب رؤيته، وللتقريب اعتمدوا نجم سلبار، ونجم سلبار يسمى أيضاً «آخر النهر»، وكذلك يعرف بالظليم وسهيل ا لمحلف .

1- وهذا بالطبع ليس تغييراً حقيقياً في اللون، ولكنه من تأثير الرطوبة في الغلاف الغازي عليه، وكلما كان النجم أقرب إلى الأفق كان التغيير البادي للعين بسبب الرطوبة أكبر؛ لأنه يخترق مسافة أكبر من الرطوبة في الغلاف الغازي وبالتالي يبدو التلألؤ أكثر.

الطوالع والنجوم في التراث الإماراتي

شدّت النجوم المتلألئة في السماء البشرية جمعاء منذ قديم الزمان، وتأمل البشر هذه النجوم، ونسجوا حولها كثيراً من الأساطير والخرافات التراثية، وربطوا المحسوسات في الأرض بقصائدهم وأشعارهم وأمثالهم.

د. سالم زايد الطنيجي
كاتب وباحث تراثي – الإمارات

لدرجة أن كثيرين أيقنوا أنها آلهة فعبدوها، وآخرون نظروا إليها بالفأل الحسن، ومنهم من نظر إليها بالفأل السيئ، ومنهم من تواصل بالتنجيم الذي يرتبط في التراث الإسلامي بالدجل والشعوذة، والبعد عن الجانب التوحيدي للإنسان، وكثير من الناس يصدقونهم في تحليلهم الشفاهي، وآخرون لا يؤمنون بتنبؤاتهم، وكما قيل عند العرب «كذب المنجمون ولو صدقوا».

النجوم والكواكب من المخلوقات التي خلقها سبحانه وتعالى لغرض واضح ومحدد، هو خدمة الإنسان؛ لأنه جلّ وعلا، لا يخلق شيئاً عبثاً، وإنما لخدمة الإنسان الذي وكّله الله لعمارة الأرض، والسعي فيها، كونه خليفة الله فيها، وهو أشرف المخلوقات على الإطلاق.

والنجوم في الماضي جذبت الإنسان، فأمسى يتأملها ساعات طوال، ويتمتع بهذه اللوحة الربانية المحكمة، التي خلقت لأجله، ويلاحظ أن السماء مملوءة بآلاف النجوم، ولها أشكال مختلفة، منها ما يرتبط بالإنسان، كالعذراء والتوأمين والصياد، وأخرى ترتبط بالحيوان، كالأسد والثور والعقرب. (إبراهيم الجروان، النجوم والمواسم عند العرب، معهد الشارقة للتراث، ص: 12، 2018).

يقول الراوي راشد بن حمود الطنيجي – الذيد: أطلق أهل الإمارات منذ قديم الزمان على هذه الأزمنة «درور»، ومفردها «در»، وسوف نبدأ بالمربعانية، وتكون تحديداً بعد ظهور نجم سهيل بخمسة عشر يوماً، ويسمى «در السبعين المربعانية»، ومدته عشرة أيام، ثم بعد ذلك يدخل موسم الصفري، وهنا يقال دخول الثلاثين وبعدها العشرين والعشر، ثم تخرج من العشر، ويبدأ المزن يتشكل، وتسمى عشر البعير، وهنا «يهدّد البعير في البوش»؛ أي يكون موسم التزاوج، وتبدأ النسوة بقصّ السدى، وهنا تدخل العشرون، ويبدأ البدو ببناء بيوت الشعر، ويرفع البدو من سكنهم الحالي، ويختارون المكان المناسب للبناء والسكن، وتدخل بعد ذلك الثلاثون، وأربعون المريعي، وهنا يكون الجو بارداً جداً، ويقوم البدو بالحرص على حماية أنفسهم وأبنائهم من البرد واتقائه، حيث يقومون بـ«زربلة» الأبناء الصغار؛ أي إلباسهم الجوارب التي تصنع من صوف الغنم، و«تعقيطهم»، وهي عملية لف قطعة قماش حول رأس الطفل ورقبته، وذلك لحمايته من البرد، وتدخل بعد ذلك الخمسون وهي عادةً ما تكون دافئة، وهنا يبدأ المطاريش بالتحرك إلى الساحل؛ لشراء حاجاتهم لمؤنة البيت من مواد غذائية وغيرها، لاتقاء البرد، وعدم السفر فيه، ثم تدخل بعد ذلك الستون، ولا يذهب فيها المطاريش للساحل، وكما قال البدو قديماً إن هذا الوقت بالذات قارس جداً، ومن شدة برودته يبول

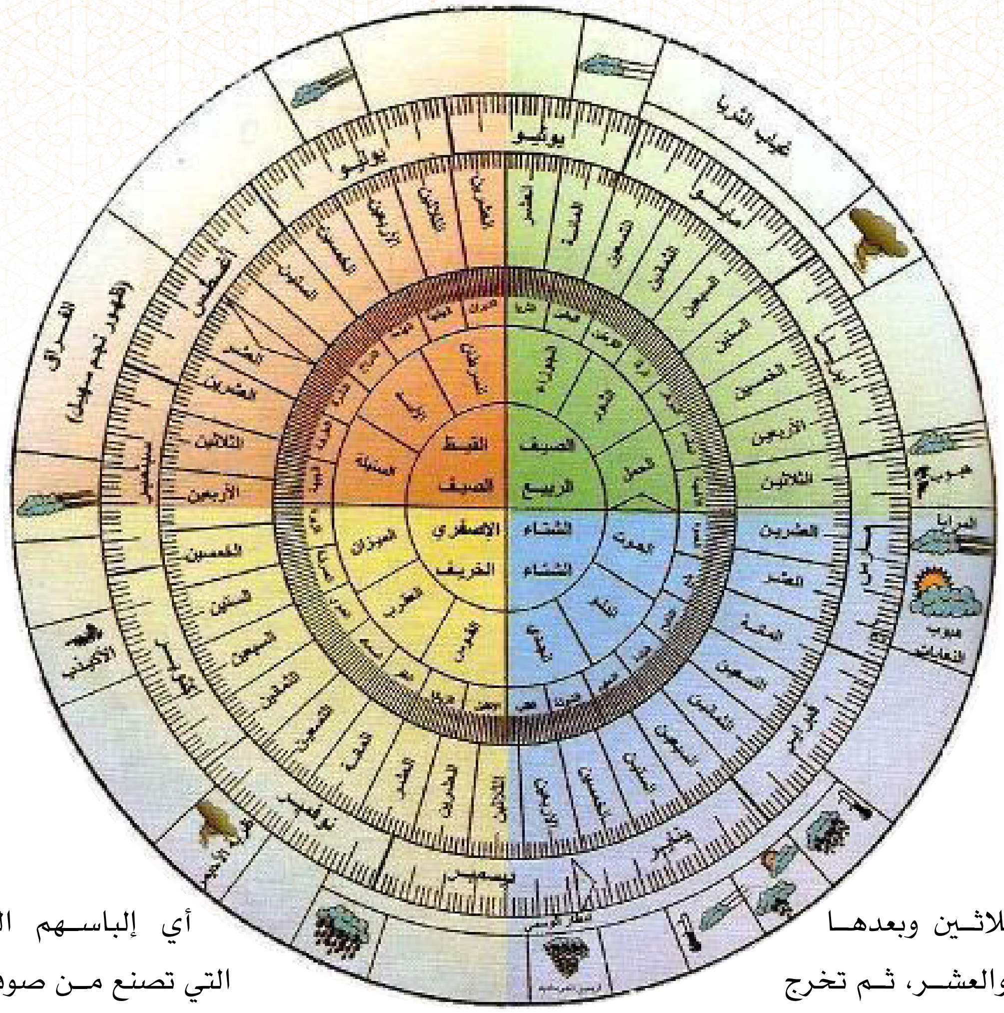

الحصان دماً، ومدته ثلاثون يوماً، وهنا تتوقف القوافل عن التحرك لمدة عشرة أيام؛ أي لا يطرشون للساحل، ثم بعد ذلك يدخل در السبعين، وهو موسم الخير والمطر، فينبت الحماض والأرطى، ثم تدخل الثمانون والتسعون، وهنا يبدأ أصحاب الحلال بجز صوف الأغنام فيها، لكي يغتسل الغنم بمطر الصيف، ثم تدخل المائة، ثم تبدأ السنه الجديدة بالعشر والعشرين والثلاثين، ثم تبدأ بعد ذلك ثلاثون الصيف من جديد، والأربعون والخمسون، وعند العراريف يقال ست المساريح؛ أي أن السنة عند البدو قد انتهت، ودخلت السنة في المنتصف، وفي در الستين تبدأ أشجار السمر بالزهور، التي تسمى باللهجة الإماراتية «البرم»، وتهب رياح الغربي، وتنتهي حشرة لها صوت مزعج تسمى «الصرناخ»، وتدخل السبعون والثمانون والتسعون والمائة، وبعد ذلك تدخل العشر، وأخيراً المربعانية.

وفي الماضي الجميل كان من المهم الاطلاع ومعرفة أحوال الطقس بطرق تناسبهم، ولم يكن هناك شيء أكثر من معرفة مواقع النجوم؛ لتحديد حركة الطقس، ودخول الشتاء ومواسم العواصف أو انقضائها، وتعامد الشمس في كبد السماء، وكانوا يستخدمون هذا التقويم في معرفة أنسب الأوقات للزراعة وجني الثمار، وخاصة التمور والمتغيرات المناخية من رياح وأمطار، وكذلك معرفة أوقات الحبل في السمك وموسمه، وأنسب أوقات الصيد وغيرها، وكذلك هجرة وقدوم الطيور البرية والبحرية.

وهناك قول إن حساب الدرور يبدأ مع ظهور نجم سهيل، فمنهم من يبدأ الحساب بتاريخ 8/15؛

أي نصف أغسطس، ومنهم من يبدأ في 8/20، ومنهم من يبدأ بتاريخ 8/24، وهذه الاختلافات بسبب موعد ظهور سهيل في المناطق، وحساب أهل الساحل أضبط من حساب البدو، ولايزال كثير من كبار السن في المنطقة يحفظون هذه الحسابات وطريقتها، غير أن معظمهم قد أضاع الحسبة، لعدم وجود تلك الأهمية السابقة.

وكثير من الناس من لم يسبق لهم التقرب من كبار السن ومعاشرتهم، والاستفادة منهم، فتجدهم لا يعرفون معنى الدرور.

وإذا سمع أحدنا كبار السن يقولون لبعضهم: نحن في الستين أم دخلت السبعون؟ تجده يستغرب من هذا الحساب العجيب والغريب، نعم هو كذلك، عجيب لمن لا يعرفه، ولكنه دقيق جداً وللغاية، بحسب مناخ دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو متوارث عن أجيال مضت، وأجيال سوف تذكره ولن تتخلى عنه، بإذن الله، فأحببت أن أنقل بتواضع شديد عن الدرور؛ كي تتم الاستفادة منها، فهذا الحساب الدقيق ورثناه عن آبائنا، رحمهم الله، وأهلينا القدامى.

ولهذه الغاية ابتكر أجدادنا حساباً فلكياً يسمى حساب الدرور، يعرفه كبار السن من المواطنين والخليجيين، لكنه يختلف باختلاف منطقة وأخرى، إلا أنه يبقى واضحاً لأهل الإمارات، بعض أبناء الجيل الجديد عرفه أيضاً، لكن تضاؤل أهمية الإلمام به جعله يتضاءل أيضاً في العقول.

الدرور في الشعر الشعبي

يا سهيل ما به نجم مثلك يماريك، إذ لنجم سهيل الألمع مكانة عند العرب وطقوسهم في البر والبحر في الصيد والزراعة، والسير ليلاً، وعن سهيل قال الشاعر حسين القفيلي:

وين أنت نجم سهيل ما تسفر الحي ... أعتمت ونجوم السماء إللي تنيرك
مدري السحايب تحجبك ما يجي ضي ... ولا اختلف ضمن الكواكب مسيرك
ياللي حفرت البير التهدم الطي ... احذر يطيح الطي في جال بيرك
ينحاس شربك ويهمج صافي المي ... وترجع ضوامي والسبب من حفيرك
سبحان من يخرج من الميت الحي ... علام ما يخفي علينا ضميرك

ويصف الشاعر فرحته وفرحة أهل البر والبحر بظهور سهيل، فيقول:

يا سهيل ما به نجم مثلك يماريك ... وسيرتك بين الناس كل ذكرها
تفرح بك العربان ال حل طاريك ... وبرجك على برج الثريا وأثرها
أغليك أنا يا نجم وارقب مساريك ... والأرض مثلي ايتغير شجرها
بوقت الشتا والصيف وحنا بحرأويك ... واحوال كل الناس عندك خبرها

سهيل وقرب المقناص، ويعد الصيد بالصقور أو المقناص مسألة مهمة لسكان الخليج العربي، خاصة سكان الصحراء، حيث الفضاء الواسع حين تكون لرؤية السماء في الليل نكهتها وجمالها، وقد قال الشاعر مهيل دغيم جابر الهاجري في قرب المقناص وطلوع نجمة سهيل:

سهيل نجمة قدلة أيام شفناه ... وقفا سموم القيض واقبل براده
راعي الولع يفرح ليا حل طرياه ... تمضي لياليه سرور وسعادة
ينسى هموم وسط صدره مخفاه ... اللي يعض اليام تزعج رقاده
ألميا مضى لسهيل خمسين شلناه ... من مربطه والموس طوف عقاده
وبعد أسبوعين ينقز دعيناه ... وعقبه جهز للي تحب الشراده
خطوا خريش ما تعدا معشاه ... بين العواسج ضأير له مقاده
نوب تجي هارب ونوب محيراه ... يرضي وعر وفي طرفها حشاده
يومه سمر بالطلع تل وعطيناه ... وسبقه مع فتحة قزاز القياده
وقفى يهز الريش ولغيض يحده ... مطلب وهي قدمه سوات الجرادة
عقبة طواها طوية الدلو لرشاه ... مرهي ولو طارت طيار زيادة

الطوالع والنجوم في تراثنا الشعبي

أ.د. مصطفى جاد
عميد المعهد العالي
للفنون الشعبية بالقاهرة

حفلت المعارف والمعتقدات الشعبية في تراثنا الشعبي العربي بالعديد من الممارسات المتنوّعة، التي كانت – ولاتزال – تعكس شغف الجماعة الشعبية بمعرفة الطالع، وترقب المجهول، وكشف غموض ما يحدث للإنسان، كالاستدلال على حال الغائب، أو معرفة بشائر جودة المحصول، أو نزول المطر، أو التنبؤ بمستوى الفيضان. ومنها أمور شخصية كوسائل رؤية الشخص السارق، أو معرفة طالع شخص مقبل على الزواج... إلخ.

عرف المتنبئون بالمستقبل أو العرافون كثيراً من الخصائص، لعل أهمها الحفاظ على أسرار المهنة، واستخدامهم رموزاً ورسومات وكلمات لا يعرفها غيرهم. واستخدمت في هذه الممارسات كثير من الأدوات التي وظفت في التنبؤ بالمستقبل.

وتنوّعت أساليب معرفة الطالع، عبر انتشارها في البيئات الثقافية العربية، ويسجل مكنز التراث الثقافي غير المادي العديد من هذه الممارسات، منها: «ضرب الرمل»، ويطلق على من يقوم به اسم الرمالي، و«ضرب

الودع» أو «الخط بالودع» أو «الخط بالحصى»، ويقوم على معرفة الطالع باستخدام الودع، تؤديه نساء يطلق عليهن ضاربات الودع، يطفن على البيوت أو في أماكن معينة بالطريق، ومن أشهر نداءاتهن: ابين زين ابين (أي أستطيع قراءة الودع جيداً)، وفتح الكوتشينة، وفتح المصحف، وفتح المندل، وفتح الكتاب، واليازرجة أو «الزايرجة»، وهي من الممارسات التي تحتاج إلى عمليات حسابية، لها ضابط معين، وقانون خاص يؤدي إلى توليد كلمات ذات معنى، يمكن عن طريق استعمالها معرفة الأجوبة عن الأسئلة المختلفة، والاطلاع على بعض الأمور الخفية، وقراءة الفنجان التي تقوم على قراءة العلامات والرسومات المرتبطة بفنجان القهوة بعد احتسائه، واستنباط دلالاتها، وقراءة الكف، وتقوم على تفسير خطوط الكف؛ ولكل خط اسم دال عليه، مثل: خط العمر – خط العقل – خط القلب، ولكل كف سمة معروفة بها، فالكف الضاحكة هي كف الإنسان الطيب، والكف الباكية هي كف الإنسان قاسي القلب، وهناك تصنيفات وضعها المحترفون في قراءة الكف لشكل الكف الإنساني، مثل الكف الصغيرة، والكف الكبيرة، والكف الطويلة، والكف العريضة. ويعرف الشخص الذي يقوم بهذه الممارسات عامة باسم «العراف» أو «العرافة»، وقد يختلف الاسم وفقاً للتخصص أو البيئة الثقافية، فنجد «الدقازة» أو «التجزة» أو «الشباحة» أو «الشَوَّافَة»، وهي عرافة تستشرف المستقبل باستخدام بعض الأدوات كالفنجان أو الحصى أو الرمل أو

الودع أو الورقة والقلم... إلخ، و«البُوهَالي»، وهو الشخص صاحب البَرَكَة أو الذي يتنبأ بالغيب، و«الحجَّاب» و«الفقِيه»، وهو عراف يقوم بفك السحر، واستطلاع الغيب. وهناك بعض الممارسات التي تقوم بها النساء فقط، مثل ضرب الودع و«القَزَانَة» أو «لكزانة»، وهي ممارسة تقوم على قراءة الطالع عن طريق خط الرمل أو ضرب الودع بتحريكه بشكل عشوائي.

النجوم واستطلاع المستقبل

ولعل أكثر أساليب معرفة المستقبل في التراث الشعبي، تلك التي ارتبطت بالنجوم والكواكب.. فمعظم العمليات التي أشرنا إليها لمعرفة الطالع مرتبط بالنجوم، ومعظم التفسيرات التي يدلي بها قارئ الطالع يشير فيها إلى وضع النجم المرتبط بالشخص الذي أمامه.. حيث ينتشر الاعتقاد بتأثير طاغ للنجوم في الأرض، فلا توجد أشياء تتم مصادفة، بل بتأثير النجوم، وخاصة ما يرتبط بميلاد شخص ما في برج بعينه، واستطلاع ما يحدث له يومياً في البرج الذي ولد فيه. ومن أشهر العمليات، تلك المعروفة باسم «استحلاب النجوم»، وهي عزيمة سحرية، يُعتقد أنها تحبب الرجل في زوجته، مرتبطة بوضع إناء على السطح ليلاً، وتلاوة عزائم معينة عند طلوع نجم مخصوص، في اعتقاد بأن هذا النجم ينزل ماء في ذلك الإناء. كما حفل تراثنا العربي بالتصورات والمعتقدات والمعارف والروايات حول سقوط النجوم. ومن أبرز الروايات حول كوكب «القمر» والصور الموجودة

به: خسوف القمر، ومنازل القمر وما يُعرف في بعض المناطق بخنق القمر. وفي بعض المناطق «خَنْبَةُ الْقُمَرْ»؛ أي سرقة القمر، وهو تعبير يقال عند خسوف القمر وكسوف الشّمس. أما «انتقام القمر» فهو معتقد يفيد بانتقام القمر ممن لا يبدي له الاحترام والتوقير اللازمين في حقه، كمن يشير إلى القمر بسبابته، وأن المرأة الحامل إذا نظرت إلى القمر ستلد توأمَين.

أما كوكب الشمس فيحتفظ في الذاكرة الشعبية بطلوع الشمس وغروبها، وحرارة الشمس وظلها. و«كسوف الشمس» ظاهرة مرتبطة بالتصورات والمعتقدات التي تحدث عندما تكون الأرض والقمر والشمس على استقامة واحدة تقريباً، حيث يعبر قرص القمر المظلم قرص الشمس المضيء. أما كوكب الزهرة فيرتبط ببعض الروايات التي تفيد بأن الزهرة كانت ملكة فارس قديماً، وأغوت الملكين هاروت وماروت، فمُسخت كوكباً.. ولكل كوكب ونجم رواية مختلفة، تحدد ملامحه في التصور الشعبي، وهي كثيرة، مثل: العذراء، والشعرى، والمريخ، والقوس، وزحل، والمشتري، وعطارد.

أما أشهر النجوم المرتبطة بالذاكرة الشعبية العربية فهو: نجم «سهيل»، ويشير عبدالحميد يونس في معجم الفولكلور إلى أن هذا النجم يُرمز له بحرف «ألفا اليوناني»، وهو يلي مباشرة «الشعرى» الأكثر إنارة في القبة الزرقاء.. وسهيل هو الاسم الذي أطلقه العرب على نجوم عدة في نصف الكرة الجنوبي، ويسمى «السهيل» في لغة أواسط جزيرة العرب بـ«الشبل»، ويُستعان به في الاستدلال على جهة الجنوب، ويقول البدو في هذه النواحي: اجت راكب الشبل في وجهك. ويقول إثاسيوس كيرتشر إن السهيل كان إله الندى والخصوبة.. وتنسب له تأثيرات تتصل بالضرب في البحر عند أهل التنجيم؛ أي في ساعة مولد أي طفل جديد.

ملف العدد

كما اقترن النجم سهيل بتحول المناخ، واحتفال الجماعة الشعبية به في أوقات معينة من السنة (الخريف)، حيث يشير ظهوره إلى بعض التغييرات المناخية، ومنها التيارات الباردة في البحر، وظهور بعض أنواع الأسماك، كما ارتبط ببعض الدلالات الرومانسية، فضلاً عن ارتباطه بالخضرة والنماء والخير. أما النجم «ثُرَيَّا» فهو عنقود نجمي مرتبط بحكاية تشير إلى ست أخوات عذراوات، اجتمع رأيهنّ ذات يوم من أيام رمضان على الإفطار نهاراً، فدخلن إلى غرفة مظلمة، وأغلقن الباب، معتقدات أن لا أحد يراهن أو يراقبهن، وانتقاماً منهن مسخهنّ اللّه نجماتٍ، حتى يكنَّ عبرة لمن يتجرأ على الإفطار في نهار رمضان. أما النجم «الزَّوْزَةْ» أو «الجوزاء»، فهو إحدى عشرة نجمة مشكّلة على جسم الإنسان كانت زوج الإصيفر، و«الإيْصِيْفِرْ» نجمة صفراء فوسفوريّة تقع بين الزوزة والثريّا، وهو رجل كان متزوّجاً بالزوزة، وزهد فيها وتركها، وساق معشّراته النجيمات، وذهب ليتزوّج بالثريّا، فلم يصل إليها، وظلّ بينهما، يقولون: (أجعلك كيف ليصيفر لاك بالزوزة ولاك بالثريّا). وكل هذه النّجوم الزوزة والثريّا وليصيفر والنجيمات لها نوّة؛ أي فترة لسقوط الغيث في فصل الخريف، أما «نجم المَرْزَمْ» فهو نجم يظهر في أواخر فصل الصيف.

النجوم دليل البدوي في الصحراء

تعدّ النجوم واحدة من العناصر الأساسية في المعارف الشعبية لدى البدو، خاصة في إطار قص الأثر، ومعرفة الاتجاهات أثناء السير والسفر في الصحراء، لاسيما في أوقات الليل، حيث توظف النجوم في تحديد وقت زوال الشمس، وتقسيم أوقات النهار، وكذلك اتجاهات الرياح، وأماكن وجود المياه. وارتباط كل نجم بخصائص وصفات محددة معروفة، وتحتاج إلى موسوعة متخصصة، منها: نجمة الجدي المرتبطة باتجاه الصلاة، ونجمة سعد السعود المحببة لدى البدو، ونجمة أم ذيل المرتبطة بالتشاؤم والقحط... إلخ.

الكواكب والنجوم في أدبنا الشعبي

يحفل أدبنا الشعبي العربي بالكثير من النماذج التي تحفل بقراءة الطالع، وارتبط مصطلح «الطالع» هنا بمفهوم «النبوءة»، فنجد الطيور في مشهد البركة في السيرة الهلالية تنبئ بموالد الأبطال وخصائصهم، وفي سيرة عنترة بن شداد نجد شخصية «الكاهن سطيح» الذي يقوم بتفسير رؤية حلم عنترة لأبنائه.. وتصفه السيرة في هيئة غير مسبوقة: «... وكان هذا الكاهن من عجائب مخلوقات الله تعالى، بلا يدين يبطش بهما، ولا رجلين يمشي بهما، ولا عروق ولا عظام، ولا عينين ولا معدة، ولا جوارح تساعده على الحركة، ولا على النقل من مكان إلى مكان، بل جعل الله تعالى له أنفاساً تتردد في جلده، وقد كانوا إذا أرادوا أن يشيلوه من مكان إلى مكان يطوونه كما يطوى الثوب الخام، ويحمل على الأيادي إلى الموضع الذي يستدعى به، ثم

يسألونه عن كل شيء فيخبرهم به، ويحذرهم إن كان فيه شيء

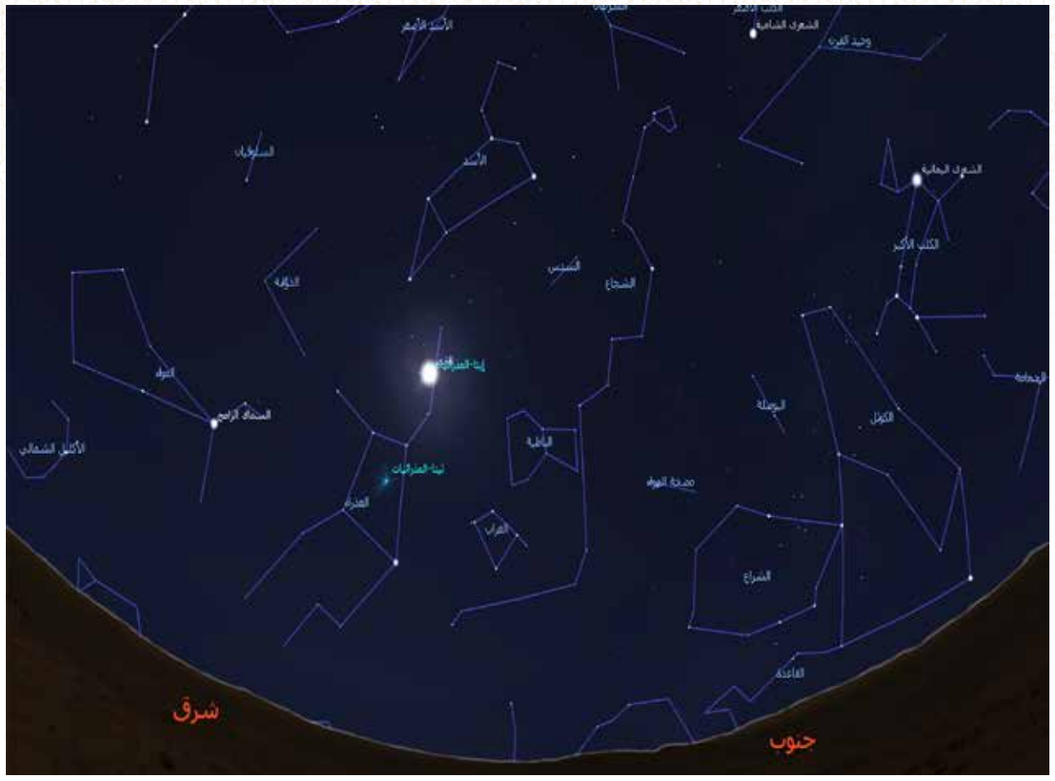

مضر، فيدخل جميع الخواطر ويحير الأفكار فيما يقول». (سيرة عنترة بن شداد، القاهرة: المطبعة السعيدية، مج 4، ص389). وفي سيرة سيف بن ذي يزن نجد طالع البطل مرتبطاً بنبوءة آصف بن برخيا - وزير سيدنا سليمان - ودعوة نوح، عليه السلام، ونبوءته.. وكذا رؤية الأولياء والسحرة مسيرة الملك سيف للحصول على كتاب النيل.

ومن المأثورات المرتبطة بالطالع: فلان طالعه سعيد - أو فلان طالعه غير سعيد - فلان نجمه عال أو صاعد (علامة على النجاح)، فلان نجمه خفيف؛ (أي يُحسد بسرعة)، وفلان وقعته زُحل؛ أي شقي؛ لأن زحل من النجوم المشؤومة... إلخ. كما نجد أن الجماعة الشعبية قد احتفلت بالكواكب والنجوم في الأمثال الشعبية.. ووظفتها وفقاً لتصوراتها ومعتقداتها، فتقول: إذا طلع سهيل برد الليل - نجوم السماء أقرب لك - المرأة نجم عالي إيش وصل - وشك ولا وش القمر - إللي معاه القمر ماله بالنجوم - الدار داري والقمر جاري - تروح فين الشمس من ظهر الصياد - البيت إللي تدخله الشمس ما يدخلوش طبيب.

معرفة الطالع هي حلم البشر الكوني واليومي.

الطالع والنجوم في السينما المصرية

تقف الأفلام التي تتناول ظاهرة الكون والفلك والنجوم والحسابات الكونية على اتجاهات عدة من قبل المتلقي أو المشاهد، ما بين التصديق والإيمان من بعضهم، ويذهب فريق إلى دائرة التكذيب والخرافة، وعدم الإيمان أو التصديق، وآخرون يحيلون الموضوع إلى الجانب الديني، الذي يعدّ هذا العلم من المحرّمات، كونه يخوض في قلب الغيبيات التي هي في علم الخالق، سبحانه وتعالى، ومنطق هذه الفئة من الجماهير أن مثل هذه الموضوعات تعد خرافة، وتظهر الاتجاهات التي تحدد مسار النجوم والكواكب.

د. ولاء محمود
أستاذ بأكاديمية الفنون
المعهد العالي للفنون الشعبية

من أشهر الأفلام السينمائية المصرية التي تعرضت لحسابات النجوم والفلك والتنبؤ بالمستقبل، فيلم «البيضة والحجر»، الذي يعد علامة بارزة من علامات السينما المصرية لأحد أهم رموزها، وهو الممثل المصري المبدع أحمد زكي، ويستعرض «أفيش الفيلم»،، أبطاله معالي زايد، وممدوح وافي، إخراج علي عبدالخالق، وتأليف محمود أبوزيد، الفيلم إنتاج 1990، ويعد فيلم البيضة والحجر عرضاً لإحدى أهم الفلسفات في تاريخ السينما المصرية، ويتناول علاقة العلم بالواقع المجتمعي، ومدى علاقة التأثير والتأثر بين العلم والفلسفة والمجتمع.

كما أن استخدام اسم الفيلم نفسه له مدلول عميق في الثقافة الشعبية المصرية، أخذ من الأمثال الشعبية المصرية، مثل «يلعب بالبيضة والحجر»، الغرض منه هو التعبير عن شخص يمتلك قدرة أو مهارة عالية، في حالة المدح لشخص في الإطار الخيّر، والتحذير من شخص له القدرة على الاحتيال أو الخداع في الإطار غير الخيّر، الشخص الذي يدعونه العامة «فهلوي»؛ لأن اللعب بالبيضة والحجر صعب جداً، لاحتمال تصادمهما.

وتحكي قصته أن مدرّس فلسفة، يستأجر غرفة فوق السطوح بحي شعبي، يُطرد من عمله بسبب اتهامه بالقيام بنشاطات سياسية، مما يضطره إلى احتراف مهنة الدجل والشعوذة، مستغلاً في ذلك ذكاءه العقلي، وجهل المجتمع، حتى أصبح رجلاً معروفاً وثرياً، من خلال نصبه على كثير من الناس، وعن طريق الاستعانة بعلم النجوم والكواكب، والاهتمام بالحسابات الفلكية، والوقوف على جهل الآخر أو المرضى بهذا العلم، يستغل المدرّس دراسته الفلسفة وعلم النفس، ودراسة الشخصيات والمواقف للتأثير في الناس، فيذيع صيته بقدرته على فكّ السحر والعلاج بالشعوذة، ويثرى ثراء فاحشاً، ويصبح نجماً في الإعلام، والفيلم عرض بعض الوقائع والخرافات التي تمثل فناً وعقائد، وتراثاً أنثروبولوجياً، من خلال ثقافات الشعوب، من طقوس وممارسات كعادات وتقاليد، وهكذا تنتقل الخرافة من جيل إلى جيل، فيعبر الفيلم عن أن خوف الناس من المستقبل يعرضهم للقلق، والقلق يجعلهم يتطلعون شوقاً لمعرفة المستقبل، والخرافة المنقولة جيلاً بعد جيل

تصبح تراثاً إنسانياً للتعارف بين أنظمة الثقافة الإنسانية بكل حولياتها وأدبياتها، ويحرص الفيلم على عرض قضيته بعناية، وهي التنبؤ بالغيب، وقراءة الطالع، واستخدام الدجل والشعوذة في شفاء المريض، وفك الأعمال، ويؤكد أن من يدعي قدرته على القيام بهذه الأعمال أفّاك يلعب بالبيضة والحجر، ويلجأ للنصب والاحتيال لخداع الجهلة والمغيّبين، حيث إن الفيلم يوجه إلى المجتمع الذي يعيش في حالة من الإيمان الحقيقي بعلم الغيّبيات، فيصدق بطل الفيلم، ويؤمن بكل ما يستعرضه.

الفيلم عرض لإمكانية التأثير والتأثر الواضحة ما بين الثقافات الاجتماعية والطبقات المختلفة، ومدى وكيفية إيمان كل طبقة بمعتقداتها وأفكارها، وكيف أن لحسابات النجوم القدرة العالية على التنبؤ بالمستقبل، وهو الشغل الشاغل للمجتمعات على حد سواء، فالجميع يريد أن يعرف هل سيشفى من المرض أو لا؟ متى سيتزوج، ومن؟ هل سيفقد

أحدهم منصبه أو لا؟ وكيف يستطيع عقيم أن يشفى؟ وهكذا تدور الدوائر حول قوة وجاذبية النجوم في كشف الأقدار، من وجهة نظر المتلقي، كجمهور الفيلم، والمرسل كصنّاع الفيلم، ورغم أن الفيلم يدور إلى حدّ كبير في فلك العلم والتنبؤ بالغيب، إلا أنه عرض موضوعه في قالب كوميدي ساخر جذاب، مؤثر على كل المستويات، سواء المؤمن بالفكرة أو النافر منها.

وضمن الفيلم مجموعة ضخمة من المشاهد التي تعرضت لموضوع النجوم والطالع والفلك بشكل كبير، ومنها المشهد الذي تحدث فيه البطل مع إحدى السيدات، حول إمكانية قيامها

بالحمل من عدمه، وتكلم فيها عن الطالع، وكيف أن حسابات النجوم، ولحظة اكتمال البدر، هما ما يقرر وقت حدوث الحمل للسيدة، وكيف أن للقمر تأثيراً كبيراً لحظة الميلاد في تحديد إمكانات الحمل من عدمه، وكيف أن بإمكان الحسابات أن تحدث المستحيل، فاليقين بأن للقمر والحسابات الفلكية دوراً ليس بالهيّن في الأقدار والأوقات الربانية التي تؤثر

في مسار الخلق، ويؤثر البطل في رواده بالإيحاءات، سواء بنبرات الصوت أو الانفعالات الجسدية أو استخدام الإضاءات المميزة واللافتة.

فنجده قام باختيار الإضاءات المميزة التي أحدثت تأثيرات فنية رائعة، عبارة عن تركيز وتشتيت الانتباه للتأثير في المشاهد مثلما يحدث في العلاج بالإيحاء أو التنويم المغناطيسي، كذلك اختيار أحجام اللقطات الضيقة أثر في المشاهد، وفي زيادة التركيز بحركات الكاميرا السريعة.

وكذلك المشهد الذي تحدث فيه البطل مع أحد رجال الدولة، حول إمكانية علاج ابنته المصابة بمرض مزمن، اختلف الأطباء فيه، وكيف أن الرجل المسؤول يتوسل البطل حتى يدله على رأي النجوم والفلك بكيفية الشفاء من المرض، ويريد منه حساب النجم، وكشف الطالع، والتنبؤ والتنجيم، وكيف أن البطل يرفض ذلك؛ لأنه يخاف أن يفتي بشيء خطأ، ونجد أن استخدام حجم اللقطة يعبر وبشكل واضح عن ملامح الأسى التي تظهر على وجه المسؤول، وانتقاله من حجم اللقطة المتوسط إلى الكبير أعطى إحساساً بمدى الحزن الذي يشعر به، جرّاء حزنه على ابنته، .

كذلك المشهد الذي تحدث فيه أحد المسؤولين إلى البطل، حول الحديث عن أحد المنافسين، وكيف أن دخول كوكب الزهرة على برج العقرب سيساعد على انتصار المسؤول على أعدائه، وبذلك يخلق علاقة بين الكواكب

والنجوم، فحركة النجوم تؤثر في الكوكب، وكيف أن المسؤول مقتنع بأن نجمه انطفأ نتيجة فعل منافسه الضلالي الذي يجعل الباطل حقاً، والحق باطلاً، ولكن البطل يؤكد له أن طالعه يدله على أنه انتصر، وكان توظيف حركة الكاميرا وأحجام اللقطات المتوسطة داخل الكادر تبرز لنا مدى الإحساس السيئ الذي يشعر به المسؤول، نتيجة تعرضه للإيذاء، وكيف أنه يستجدي البطل لحلّ عقدته.

ومن أكثر المشاهد تأثيراً وعرضاً درامياً رائعاً، مشهد الشخص المريض، هو والده، وهم يقدمون الأطعمة كقربان للمعالج الذي قام ببعض أعمال التنجيم، ما ساعد المريض على الشفاء، وتجاوز الأزمة، ونجد التكوين السينمائي للمشهد الدرامي خدم موضوع العمل بالشكل الأمثل.

فنجد بعض تأثير الرعب والفزع الظاهر على ملامح وجه الممثلين، نتيجة تعرضهم لبعض الأعمال السحرية، غير أن حجم اللقطة المتوسطة ساعد على الدخول إلى أعماق الممثلتين، والتأثر بمشاعرهما.

كذلك الإضاءة لعبت دوراً في الإحساس بالغيّبيات، وتأكيد فكرة المجهول، والوقوف على الجوانب الخفية من العالم الآخر الذي يريد الفيلم استعراضه، والتأكيد على الكلمات والعبارات الغريبة التي يقوم المنجم بترديدها، فالصورة تحاكي الإضاءة وتحاكي التعبيرات الظاهرة على الوجوه.

عرض هذا الفيلم أيضاً كيفية استخدام علم النجوم والحسابات الفلكية في تحديد الأوقات المناسبة للتأثير في حياة الأفراد داخل المجتمع، فمثلاً عن طريق هذه الحسابات نستطيع تحديد مواعيد الزواج أو مواعيد الميلاد أو الوفاة، أو التحقق من سرقة أو ما شابه، فكل شيء محسوب بشكل علمي دقيق، وبأسلوب منظم، وبتدرج منطقي داخل حسابات علم الفلك، فكما حدث في الفيلم فقد قدر المنجم في الفيلم للبطلة إمكانية زواجها، وفي وسط الفيلم عندما توفي زوجها ساعدها على اجتياز المحنة، واختيار أي من المتقدمَيْن للزواج منها مرة أخرى، عن طريق تحديد أيهما أنسب من خلال حسابات علم الفلك والتنجيم.

ولاتزال السينما توظّف علم النجوم والفلك في كثير من الموضوعات، ويعد «البيضة والحجر» واحداً من أهم هذه النماذج.

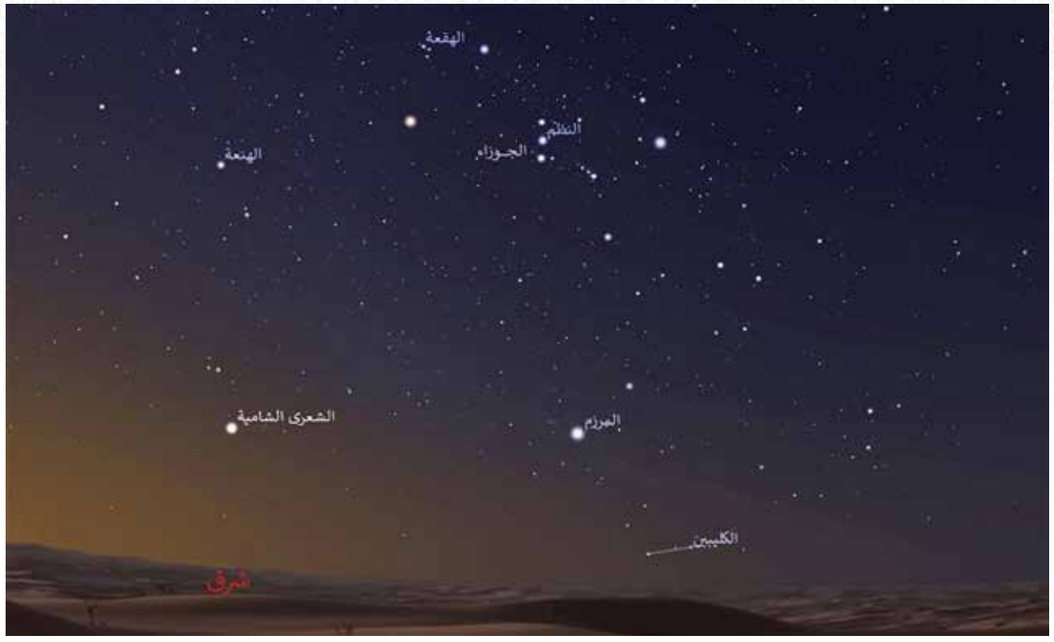

نجوم القيظ والاستدلال عليها

موزة سيف المطوع
كاتبة – الإمارات

أقضي سنوات من العمر وأنا أنظر إلى السماء ونجومها متمتعا ببديع الله في خلقه، وفي لحظة أدركت أني أنظر إلى عالم مبهم لي، مالذي يراه عاشقوا الفلك ولا أراه؟ كيف يميزون نجمة عن سواها؟ أرى لآلئ منثورة ويرونها علامات فارقة يستدلون بها على الفصول والأزمان، فبحثت في الكتب وصفحات الانترنت، للمرة الأولى أنصت لجدي بكل حواسي، أدركت جهلي أمام بحرعلم تجاربه الواسعة، فاسترسل شارحا متحمسا ليورثني علمه، بنظرة ثاقبة وابتسامة مشعة، كبرنا تحت النجوم المتلألئة، تعلقت قلوبنا بها واهتدينا بها، رتبت شؤون حياتنا من غوص وزراعة وارتحال، ومع كثرة المراقبة والتدبر علمنا أن طلوع كل نجم دليل على مرحلة انتقالية لدرجة الحرارة، يا بني هناك فرق بين النجوم والكواكب فالأولى تتلألأ لأنها منبع الضوء أما الكواكب فلونها ثابت، هي كالقمرعاكسة للضوء فقط.

واعلم أن الصيف هو بداية الحر والقيظ هو شدة الحر ونهتدي به بطلوع الثريا إلى طلوع نجم سهيل ومدته ثلاثة أشهر، ترصد السماء جهة الشمال

الشرقي بعد صلاة الفجر كل أسبوعين تقريبا وهي الفترة الزمنية بين طلوع كل نجم ونجم ، ننتظر نجمة الثريا بعد أن عشنا أسبوعين مع الرياح الشمالية الغربية (البوارح) الثائرة الجافة المثيرة للغبار، في 7 يونيو تتلألأ قلوبنا مع ستة نجوم متقاربة من بعضها كعنقود نير زرقاء متوهجة يميزها المتدبر والجاهل، يشتد مع بزوغها الحر ويندر معها الأمطار، ويتجه الغواصون لأعماق الخليج بحثا عن اللؤلؤ المكنون محملين بتباشير الرطب لتزود أجسادهم بالطاقة، تتبعها نجمة التويبع (الدبران) أسفل منها لونها أصفر براق تصادف تاريخ 20 يونيو، برؤيتها تأكد أنك دخلت في فصل الصيف، فالليل يطول ويقصر النهار، وفيه الانقلاب الصيفي فيبدأ الليل يطول وينعدم ظل الزوال، تشتد الحرارة وتنتشر الأفاعي والعقارب فاحذرها وتجنب الوقوف تحت الشمس المستعرة وتعوذ الله دائما من حرها، واسقِ مازرعت يداك سقياً متتابعاً حتى مع ظهور نجوم الجوزاء ففيهم تشتد حرارة باطن الأرض فيزداد التبخر، إنها جمرة القيظ تصل الحرارة فيها ذروتها(50-52) درجة، تابع طلوع نجوم الجوزاء وتمييزها سهل جدا، سترى ثلاثة نجوم متوسطة اللمعان في خط قصير إنها حزام الجوزاء، يجاورهم نجمين يمينا ونجمين يسارا أحدهم شديد الحمرة إنه منكب الجوزاء.

أكمل مد نظرك أسفل نجوم الجوزاء في 29 يوليو لتبصرألمع وأجمل وأوضح نجمة في السماء نجم الشعرى (المرزم) والذي ذكر في القرآن الكريم – وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى – وفيه يستمر موسم القيظ وخيرات النخلة من الرطب كثيرة ومتنوعة، وهو أبيض أزرق يومض بعدة ألوان وسطوعه يتفاوت، سيليه جهة الجنوب الشرقي نجم خافت إنه النثرة (الكليبين) بطلوعه تكون قد وصلت لآخر مواسم جمرة القيظ، ترتفع معه الرطوبة في الجو مسببة سقوط الأمطار أحيانا، أعد النظر في السماء بعد 14 يوما وبعد صلاة الفجر مثل كل مرة جهة الجنوب الشرقي ومتع ناظرك وقلبك ولتفرح بطلوع ثاني ألمع نجم في السماء نجم سهيل أبيض مصفر، ستشاهده ولو كنت في المدينة لشدة وضوحه، والذي يصادف منتصف أغسطس، وتمتع بنسمات عليلة تلحف وجهك ليلا وتغاضى عن حرارة النهار، واحمل على ظهرك شباك السيالة ذات الخرم المتوسطة فبدأ تناقص درجة الحرارة على الساحل جعلت سمك الشعم والبياح يتوافدون للسيف، وسترى وفرة أنواع أخرى تستطيع اصطيادها وبيعها، وها قد هلت طلائع الطيور المهاجرة البرية والبحرية لتزين سيفة البحر ولتشاركك اصطياد الأسماك، لقد انكسرت حدة الحرارة، والكل يترقب موسم الصفري(الخريف) بعد أن أنهكتهم حرارة القيظ.

نجوم القيظ التي ذكرتها تراها مجتمعة جميعها في آن واحد بعد أن تتابع طلوعها، إلا أنه وبمرور الأيام تغيب النجوم القريبة من الأفق الغربي وتطلع نجوم أخرى من الأفق الشرقي وترتفع تدريجيا في السماء لنستدل بها على مواسم أخرى، تعيننا في حياتنا في زمن لم يكن فيه مركز أرصاد جوية يبشرنا بهطول الأمطار ويحذرنا من سيول وعواصف.

تراث النوازل

في كتاب الحوليات، الذي وضعه المرحوم يوسف بن محمد الشريف، وذكر فيه أموراً كثيرة تتعلق بتاريخ المنطقة، نسخ بعضه المرحوم عبدالله بن صالح المطوع، أشار الكاتب إلى أحوال المنطقة لفترة زمنية، امتدت من منتصف القرن الثامن عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر الاجتماعية والحوادث الطبيعية، لكنني أحصيت ما لا يقل عن عشرين حالة مرض انتشرت في الساحل والمناطق القريبة على شكل وباء.

د. ماجد بوشليبي
مستشار التحرير

وتنوعت بين أمراض الحمى والجدري و«بوصفار» والكوليرا والطاعون وغيرها مما اختلف فيه من تسميات، أو غاب تشخيصه ومعرفته عن أهل المنطقة، وذكر الكاتب أنه مات وهلك خلق كثير في تلك الحوادث، دهمتهم الجوائح في مواسم مختلفة، وأصابتهم العدوى في سفر التجارة والغوص والحج، وبعضها رافقه المطر والهدم والموج، مما لا يتسع المقال لجمعه وحصره، غير أن تصاريف أهل المنطقة، وتصديهم لهذه الحوادث، رغم قلة الإمكانات والحيل

أخرجهم أكثر قوة وتمكيناً، ومرت تلك الأزمات بدروس وتدابير من تحوط واحتراز، حتى عزل الموبوء والمصاب في اختيارهم أماكن المعازل على تخوم القرى والمدن، واتخذت العرشان سكناً للمرضى وللتطبب، ونفي المجذوم، وربما الأجل المحتوم لليأس وقلة الحيلة، أو انعزال بعضهم في «الضواحي والنخل»، وهي مزارعهم التي يختلفون إليها، وتداووا بالكركم والملح والبصل والثوم والخيل والمر، وأشياء كثيرة لا تحصى، فهي حيل وتجارب أهل المنطقة، حتى جاء «الشنتار»، (التطعيم للوقاية)، ولم يكن متاحاً للجميع في نهاية 1897م، فخفف من حدة انتشار الأمراض والأوبئة، لكنه لم يمنعها .

وقفت شخصيا على كثير من روايات أهل المنطقة، ممن أدركت من كبار السن على أخبار تلك الجوائح، وتصاريف الفترات، وكيف واجه الآباء تلك الأزمات، ورأيت أنه يسهل جمع تلك الأخبار والمرويات، إلى جانب ما ورد في الوثائق والمخطوطات، وأدبيات الرحلات التي كتبت عن المنطقة من الرحالة الأجانب والمستشرقين، وبعض الإرساليات التنصيرية، وكثير منها لايزال موجوداً في مراكز الأرشيف والدراسات، ولو كنت أسعى لجمعها لضننت بمصادرها لنفسي، لكنني ومقاصد المقال بعد تلك المقدمة التي أراها مخلة، لا تستوفي الطرح حقه، في وجود مركز للبحث الثقافي الاجتماعي لتأريخ ودراسة وجمع المرويات الشفاهية والوثائق، ووفق منظور الأبعاد الاجتماعية والتراث الثقافي للمنطقة، أو ضمن مشروع تبني رعاية الرسائل الجامعية في توجيهها بعيداً عن النظرية البحتة، رغم أهميتها، في موضوعات تخص المنطقة وتتكامل مع مشاريع الدراسات والجمع الميداني، هناك في الفقه والدراسات الفقهية ما يسمى بفقه النوازل، أو الدراسات التحسينية، وهي التي تستحضر حاجة الدراسة إلى إعادة النظر في الآراء والأحكام وفق المستجدات والنوازل، واستحسان المنهج يقودنا إلى استحداث ما يسمى بدراسات النوازل وفق الأبعاد الثقافية، فالتراث الثقافي جزء من المنظومة الاجتماعية الثقافية للمجتمع، وإعادة طرح التصورات، والبحث في صناعة المناهج وتوثيق الناتج، لهو من الأمر المهم لإبقاء دراسات التراث الثقافي مواكبة لعصرها، عندها لا تنقص الدعوة إلى إحياء التراث حجتها العلمية، وتؤسس لمكتبة مرجعية على درجة كبيرة من المنهجية.

الشاعر علي بن هويشل الخاطري

(شاعر الرّزيف)

شاعرنا هو علي بن هويشل بن علي الخاطري، من شعراء رأس الخيمة، من مواليد عام 1910م، في منطقة الساعدي في إمارة رأس الخيمة، وكان هو الولد الوحيد لأبويه، وليس له إلّا أختان.

عتيج القبيسي
شاعر وباحث تراثي

سُمّي بشاعر الرّزيف؛ لأنّه تخصّص وبرع في شعر الأفراح، وهذا الفن من الشعر يتطلّب الحضور الذهني وسرعة البداهة، وامتلاك زمام الشعر، من حيث الالتزام بالوزن والقافية عند الارتجال، في فنٍّ من فنون الغناء الجماعي يسمّى الرّزيف، أو الرّزفة، وهو مزج بين الغناء والرقص الشعبي التراثي، بأشعار تصاغ في لحظتها، وتردّدها الجموع، وهو تراث حي لايزال متداولاً إلى يومنا هذا.

كانت أسرة شاعرنا من سكّان منطقة حفيت، ونزحت إلى رأس الخيمة مع من نزحوا إليها خلال القرن التاسع عشر، وهُم يُعدّون من أحدث عوائل الخواطر نزوحاً من حفيت إلى جهة الشمال من الإمارات، لذا فإن الكثير من أقارب وبني عم الشاعر مازالوا موجودين هناك في حفيت، ولجدّه أموال كثيرة هناك، متمثّلة، حسب المصطلح القديم، في المزارع التي يمتلكها، فدائماً كان الناس في السّابق يقولون لصاحب المواشي (راعي حلال)، وصاحب المزارع (راعي مال)، وراعي هنا تعني صاحب أو مالِك، وإن كان يملك المزارع والمواشي فيقولون (راعي مال وحلال)، ويذكر ابن شاعرنا السيّد عبيد بن علي بن هويشل، أنّ لأبيه أكثر من أربع مزارع في حفيت ورثها عن أجداده.

وكما ذكرنا بأن شاعرنا برع في شعر الرزيف، فكان كغيره من الشعراء الذين يتفاعلون مع مجتمعاتهم، فيقولون الأشعار التي تتناول همومهم، وتلامس مشاعرهم، وقد تناول شاعرنا معظم أغراض الشعر.

فمثلاً في الغَزَل قال:

يا ليتني فيده رِبيّه ... ويحطّني فوق الاحضانِ
وتصحى عواقي لي غبيّه ... ومن طيب معروفه سقاني

وكذلك قال:

واليَنّب شَروات الورودِ ... متزغرفٍ لي في شبابه
يوم اويَهَه نفسي تذوبِ ... والاعواق تيني من أسبابه

وقال أيضاً:

ما روم اجسّي بالهموم ارُّوحي ... واصبر عَنك يا مالي الذرعان
ريحة عَرَقهم عنبريٍّ يفوحِ ... ويهب وان ياه النّدى طَلّان

وفي النّقد والعتب قال:

الهوى غالي يالغالي ... يبغي ناسٍ يروفوا به
طاح في يدين يهّالِ ... ما يعَرّفون مايوبه

وقال في موضع آخر ينتقد النساء لذهابهن إلى الأعراس متبرّجات:

اتْلَبّسَن وتعَدّلن له ... وللعرس زَرَّن ماشياتِ
والرَّجِل بالرّيل ارفسنّه ... والبيت له قَيّل وباتِ
على هواهن لي بغنّه ... لافَن ورَدّن منكفاتِ
كم من غريرٍ وايهَنّه ... وتبسّمن له ضاحكاتِ

وفيهن أيضاً قال:

ما ينحسِن في النّسا ظَنَّ ... يوم الصّحابه خاياتِ
حَقٍّ عليهن واقلبَنّه ... ولِبسَن نعول منَكّساتِ

ويقول منتقداً شاعراً آخر:

أسميه «بن عايش» غِريرِ ... ما يفتهم للقول كَنَّه
رَزّيف ويحوط الفريجِ ... ما يْعَرف شو المقصود منّه

وفي رزفة يشاكي فيها أحد أصدقائه بعد أن تقدمت به السّن:

يا بن خميس إن سَلت عنّي ... في نقص حالي ما يزيدِ
يوم اِتْغَفِل عيني اذكرهم ... يللي بهم رَيَّض سعيدي

ثم يقول:

يا بن خميس الدّوب يا بي ... مَرَّح على اليايز ركابه
لو صرت في عز الشبابِ ... والحَق لي مفتوح بابه

وفي رزفة أُخرى يشاكي صديقاً آخر، هو مصبّح بن جاسم الطنيجي:

الوقت يا مصبّح رماني ... وارخَص بقَدرٍ ما يهونِ
وان شفت بَرّاق الشمالي ... وَنّيت وامسيت اِمغَبونِ
شانت الدنيا ومعَناها ... ومِن الهوى با يوز بوني
وِان سرت بتعَذَّر وايوزي ... أهل الهوى ما عَذّروني

وفي المدح قال شاعرنا مادحاً السيّد سلطان بن علي الخاطري:

لو تشتكي دارِك مِحُول ... ياها الخِصَب باسباب سلطان
للسّاعدي موسم يردّون ... يوم الحيا باهي في الأوطان

ولشاعرنا العديد من القصائد في الرزيف لا يتسع المجال لحصرها، تجدونها في الجزء الثاني من موسوعة أعلام الشعر الشعبي للدكتور راشد المزروعي.

وبقي أن نذكر أن وفاته، رحمة الله عليه، كانت عن عمر ناهز التسعين، في مستشفى القاسمي في الشارقة، في الشهر الثامن من عام 2000، ودُفن في مقبرة الذيد.

فن الصوت الخليجي في الإمارات

علي العَبْـدان
شاعر وتشكيلي وباحث تراثي
الإمارات

حيـن انتشـرت الأصـوات البحرينيـة والكويتيـة تجاريـاً وإذاعيـاً، واشـتهرت فـي منطقـة الخليـج عامـةً، كان مـن الطبيعـي أن يتأثـر كثيـر مـن أهالـي السـواحل الخليجيـة الأخـرى بهـذا القالـب الغنائـي الخليجـي؛ وذلـك لأن نصـوصَ تلـك الأصـوات وألحانهـا كانـت قريبـة مـن أرواحهـم المتأثـرة أساسـاً بعمـوم التـراث الثقافـي العربـيّ، الفصيـح منـه والشـعبي، كمـا أن طبيعـة إيقاعـات فـن الصـوت كانـت قريبـةً مـن طبيعـة الإيقاعـات الخليجيـة الأخـرى، خاصـةً البحريـة منهـا.

مـن هنـا اشـتهرت الأصـواتُ البحرينيـة والكويتيـة في عمـوم الخليـج، بـل امتـد التأثيـرُ إلـى مناطـق أخـرى، كالعـراق والحجـاز واليمـن.

ومـن هنـا رغـب كثيـر مـن المطربـين الإماراتيـين في عـزف أغاني الصوت الخليجي، خاصةً في الجلسات المخصصة لنخبة المستمعين، ممن يتذوقون مختلف القوالب الغنائية والموسيقية، وكانت جمعيات الفنون الشعبية في رأس الخيمة والشارقة ودبي تشهدُ جلساتِ سمرٍ عديدةً، تُعزفُ فيها أغانٍ من فن الصوت، ففي جمعية الشارقة للفنون الشعبية والمسرح الحديث في السبعينيات مثلاً، كان الفنانون الإماراتيون، مثل عبدالله عبدالحميد وعبدالله القطامي وغيرهما، يؤدون الأصوات، ويرافقهم على الإيقاع بقية الأعضاء، سواءٌ بالتوقيع على آلة «المرواس»، أو بالتصفيق أو بالزفن[1]، وكان لفن الصوت أثرٌ مسموعٌ في بعض مدن الإمارات، منذ الخمسينيات إلى نهاية الثمانينيات تقريباً، وفيما يلي سأذكرُ أشهرَ الأسماء التي أدت فن الصوت الخليجي في الإمارات.

يُعدّ الفنان يوسف نقي أولَ مطربٍ إماراتيّ معروف

في الثلاثينيات من القرن العشرين، واشتهر بأنه كان يؤدي الأغاني العربية، لكن لا يوجد له أي تسجيل، ولاشك لدي في أنه غنّى بعض الأصوات، وإن كنت لا أملك دليلاً على ذلك سوى غلبة الظن، أما الفنان حارب حسن، الذي يُعدّ أول إماراتي يُسجل أسطوانة غنائية عام 1950، فقد غنّى بعض الأصوات المعروفة، كما لحّن صوتاً واحداً عام 1958، هو «يا هلا يا سِيد ترفات الجبين»، وهي قصيدة للشاعر الإماراتي سالم الجمري، إلا أن حارب حسن لم يستمر في غناء الأصوات، واتجه إلى غناء الأغاني الخفيفة.

إن أول فنان إماراتي أتقن فن الصوت بحق هو «مُطرب الحيّ» محمد عبدالسلام، الذي سجّل العديد من الأصوات لمصلحة شركة «دبي فون» الوطنية في عام 1952، منها:

«يظن المُعافى أن داءَ الهوى سهلُ».

«زر مَن تُحب ودع مقالة حاسِدِ».

«حُشاشة نفسٍ وَدَّعَت يومَ ودّعوا».

«واللّه ما دريت أن الهوى هكذا يعمل معي».

«قلبُ الشجيّ المُدلَّهْ».

«يا سايمين الهوى بكتاب».

«علينا ما فعلتمّ غيرُ خافٍ».

ثم يأتي الفنان جاسم عبيد، من رأس الخيمة، الذي يُعَدّ من أشهر مَن أدى فن الصوت في الإمارات، وقد غنّى جاسم عبيد كثيراً من الأصوات المشهورة، منها:

«يا مَن هواه أعزّه وأذلني».

«لولا النسيم لذكراكم يؤنسني».

«جَلا بالكاس جالية الهموم».

«كتمت الهوى في قلبي سنين».

«البارحة يوم أنصف الليل ونيت».

«يُعاندني دهري كأني عدوّهُ».

«ذكريات بحار ما بين جنة ونار».

ومن مطربي الأصوات في الإمارات أيضاً الفنان المخضرَم جمعة موسى سعيد البقيشي، من مواليد مدينة رأس الخيمة القديمة، وهو أحدُ أوائل مُطربيها، وكان أحدَ مؤدّي فن الصوت المشهورين فيها أيضاً، ومن الأصوات التي غناها:

«دمعي جرى بالخدود».

«قريب الفرَج يا دافع الهم والعسر».

«على دمع عيني من فراقك ناظرُ».

«اغنم زمانك يا حبيب اغنم».

«وا بروحي من الغِيد هيفاء كالهلال».

وقد ذكر لي الفنان جمعة البقيشي أن الجلسات كانت تبدأ بفن الصوت؛ لأنه أثقلُ الغناء الخليجيّ، ثم بالأغاني الخفيفة كالبستات واليمانيّات، ثم بالقصائد والأغاني المصرية الطويلة إلى منتصف الليل، ويقول الفنان جمعة البقيشي أيضاً، إن الفنون القديمة لم تعد محل اهتمام الشباب، وإنه في الإمارات «اختفى الصوت كفن نهائياً»[2].

ومن مؤدّي فن الصوت في الإمارات الفنان سعيد سالم حسن المعلّم، وهو أحد مُتقني أداء هذا الفن، وفي عام 1969 سجّل سعيد سالم أغانيَ لإذاعة الكويت الشعبية، وقام أحد شعراء الكويت بإعطائه قصيدتين، فغنّى إحداهما على طريقة السامري، والأخرى على طريقة الصوت، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يُلحّنُ فيها سعيد سالم قصيدةً على قالب فن الصوت بشكلٍ مستقلّ، وفي الإمارات غنّى سعيد سالم كثيراً من الأصوات، وتحتفظ التسجيلات التجارية بصوتيْن غنّاهما، هما «جفني لطِيب الكرى»، و«اغنم زمانك»، وفي جلساتٍ حضرتُها شخصياً غنّى سعيد سالم الصوت العربيِ البحريني «يا من هواهُ أعزهُ وأذلّني»، ومثله صوت «على دمع عيني من فراقِك ناظِرُ»، والصوت الشامي البحريني «يا غصين البان»، وكان سعيد سالم يصفُ فن الصوت بأنه «فنٌ رجولي الطابع»، حتى وإن غنته بعضُ المطربات، وذلك لأنه قالبٌ ثقيلٌ وجادّ، ليس سهلَ الأداء، وكان يقول أيضاً إن فن الصوت كان محبوباً لدى كثيرين في الإمارات، ولكنّ إمارة رأس الخيمة خاصةً، كانت هي التي استقطبت هذا الفن، وكان فيها أناس يهتمون بهذا النوع من الطرب، وأغلبهم كانوا «سمّيعة»، على حدّ وصفه.

ومنهم أيضاً الفنان سعيد بن علي الشراري، من أهالي مدينة كلباء بإمارة الشارقة، الذي يقول عن نفسه إنه كان من «أوائل مؤدي فن الصوت في الإمارات»، ويضيف أن فن الصوت يحتاج إلى مقدراتٍ صوتيةٍ خاصة، ومن خلاله يمكن التمييز

بين المطرب الجيد والمطرب العادي، وأن فن الصوت ركنٌ أساسيٌّ في الأغنية الخليجية عموماً، وأن جلسات الطرب كانت تبدأ بالصوت دائماً، على خلاف الحفلات.

يُعدّ الفنان جابر جاسم أحد مؤدّي فن الصوت المتميزين في الإمارات، ويعود ذلك إلى حب الفنان جابر جاسم للتنويع في غناء القوالب الخليجية والعربية، كما هو معروفٌ من سيرته الفنية، كما يعود من ناحيةٍ أخرى إلى طبيعة الوقت الذي غنّى جابر جاسم الأصوات فيه، وهو حقبة السبعينيات، التي كان فن الصوت فيها لايزال مطلوباً ومسموعاً لدى كثيرين في الإمارات، ومن الأصوات التي غنّاها الفنان جابر جاسم:

«مال غصن الذهب».

«قال ابن الأشراف قد طاب السمر».

«اغنم زمانك».

«الجفن حارب لذة النوم».

وفي العموم يمكنني أن أقول إن جابر جاسم تميّز في أداء هذه الأصوات بحُسن الغناء والتعبير عن معاني الكلمات بصوته الدافئ، كما أحب أن أصِفه، كما أنه جذبَ لهجة الغناءِ إليه، بمعنى أنه كان يُغنّي بعض الأصوات الشهيرة بلهجته الإماراتية، وصفاتِها الخاصة.

إن مَن ذكرتهم سابقاً هم أهم مَن غنى فن الصوت في الإمارات؛ لأنهم أدّوه أداء المتقنين، وقد عرفوا أصوله ونماذجه، ولهم تصرفاتٌ فيه، لكنّ هناك مطربون إماراتيون آخرون كانوا يُغنون مختلفَ القوالب الغنائية الخليجية، وقد غنّوا أيضاً أغانيَ فن الصوت، وإن كانوا لم يشتهروا بذلك، فمنهم الفنان عبدالله عبدالحميد، وهو أولُ موسيقي من الشارقة، حسب علمي، حيث تعلم أصول التدوين الموسيقي منذ بداية الستينيات، وكان يعزف الأصوات في الجلسات الخاصة، وفي جمعية الشارقة للفنون الشعبية في السبعينيات، كما ذكرت سابقاً، ومنهم الفنان عثمان نصيب أبوالريش، وهو أستاذ الفنان سعيد سالم المعلّم، الذي ذكر لي أن أبوالريش كان يغني الصوت، ومنهم أيضا السيد يوسف عبدالجليل من أهالي الشارقة، وتجمعه صداقةٌ بالفنان سعيد سالم المعلّم، الذي ذكر لي أنه من هواة الطرب الشعبي، وكان يعزف الأصوات، كما يتذكر الفنان سعيد سالم السيد جمعة بوعبدالحميد من أهالي الشارقة أيضاً، وأنه كان يؤدي الأصوات الخليجية كذلك، ومنهم الفنان سلطان بن دخان من الشارقة، ومنهم الفنان عبدالله القطامي من الشارقة، والفنان خالد الحليان من دبي، والفنان عبدالله خميس العشر من الشارقة، والفنان خليفة عبدالله من خورفكان، وغيرهم كثير.

---

1 – الزفن هو أداءٌ فنيٌّ جسديّ يؤدى خلال جلسة الصوت، ويُسمّى مؤدّيه الجيّد بالزفّين، وأصلُ الكلمة فصيح، فالزفنُ في العربية – بفتح الزاي وتسكين الفاء – هو الرقص.

2– ملخص من مقابلة أجريتها مع الفنان جمعة البقيشي، ومن مقابلة صحفية له مع صحيفة (الاتحاد).

فن الوهابية

عزيزي القارئ، مازلنا نواصل الكتابة عن فنون الشحوح، وقد ذكرنا لك في الأعداد السابقة أن الشحوح فنون متنوعة، وفيها المزيد، وأنا على أتم الاستعداد لبحث هذه الفنون الجميلة، وتقديمها إليك، ففي هذا العدد سوف نأخذك، عزيزي القارئ، إلى فن غريب، وفي الوقت نفسه جميل، وله متعة للقارئ والمتابع والمشاهد أيضاً، حيث إن هذا الفن ذو إيقاع محبب للسمع، هو فن الوهابية.

علي العشر
خبير تراث فني

تعريف فن الوهابية:

هو فن من الفنون الشعبية القديمة، التي تتميز بها دولة الإمارات العربية المتحدة عامةً، وبالتحديد إمارة رأس الخيمة، في مناطق المخيل، إذ تنفرد به إمارة رأس الخيمة عن بقية الإمارات الأخرى، وعن دول مجلس التعاون الخليجي أيضاً.

الإيقاعات المستخدمة في فن الوهابية:

الإيقاع المستخدم في فن الوهابية هو طبل الرحماني فقط، لكن طبل الرحماني هنا مصنوع بطريقة أخرى، غير الطريقة التي تستخدم في صناعة طبول الرحماني في الفنون الأخرى.

ويستخدم في هذا الفن من 4 إلى 6 طبول، وأحياناً يصل العدد إلى 8 طبول، ويكون إيقاعها موحداً، ولا توجد في أي تشكيلة إيقاعية منفردة.

طريقة أداء فن الوهابية:

تتكوّن الفرقة من صفين متقابلين، تتوسطهما الطبول، ثم يبدأ أحد الحاضرين بإنشاد بيت من الشعر، ويسمى هذا الشخص بالشليل، ثم يردد البيت مرات عدة، حتى يترسخ في أذهان الحاضرين في أحد الصفوف حتى يحفظوه، ومن ثم ينتقل إلى الصف الثاني ببيت آخر من القصيدة نفسها، ويردده أيضاً حتى يحفظ من قبل الصف الثاني، وبعدها يتم ترديد البيتين من قبل الصفين، الصف الأول يغني البيت الأول ويسمى بالشلة، والصف الثاني

يغني البيت الثاني، ويسمى بالرد، أو بالعكس يمكن أن يغني الصف الثاني البيت الأول، والصف الأول يغني البيت الثاني، ويستمر على هذا المنوال حتى نهاية القصيدة، وتلازم غناء المجموعتين حركة من الصفين في التحرك إلى الأمام والرجوع إلى الخلف مع بعض، ثم ينحني صف من الصفين، فيتحرك نحوه ضاربو الطبول وهم يمشون حتى يصلوا إلى الصف المنحني، فيقفون عنده وهم يعزفون لمدة لا تقل عن 10 دقائق، حيث إن راقصي هذا الصف المنحني يرقصون مع تحريك الرأس، حتى يقوم الصف الثاني بهذه الحركة نفسها، فيتجه إليهم ضاربو الطبول، فيقف الصف المنحني من قبل.

هذه الرقصة في هذا الفن يتوسطها لاعبو السيوف والبنادق.

يؤدى فن الوهابية في المناسبات الوطنية وفي الأعياد وفي جميع الأفراح.

ومن قصائد فن الوهابية ما يلي:

القيظ ما طول زمانه
شهرين والغالي مشوا به
يانا الشتا نابض غيامه
بالرعد وتسقينا الروايح
آه يا وطر مر وجفاني
لو نحت ما بلقى مثيله
له بالطرب ذوق ومعاني
لو كانت ايامه محيلة
عاملتهم وأشقيت حالي
ما وصلت للمطلوب منه
ذقت الثمر والزين غالي
كيف الصبر والبعد عنه
ما لي عتب لو بعت حالي
واصير مملوك بموده
واريح قلبي من شقاهم
ومن حاسد كان ضده
شاع النظر عوق ضميري
عذبت حالي يا غزال
كون بوصل جانك رحيمي
يا عود يا صنع لهلالي
يا لراعبي كون لي رحيمي
شافي ومقدم طلايب
بخبر هلي وصية
ان مت ما غيرك سبايب
وش الخطأ الي جاك مني
يا غض مقرون اللحية
عامٍ مضى مبعدت عني
لا وصل ولا خط بتحية
انوح حب فجعني
من يوم صوّب بي غواهم
لو لي بخت قلبي تمنى
يا ليت مجاري حشاهم
زورتنا يا سيف صوبه
ابو مضمرن صافي خدودة
والعود يضرب به مثايل
براق ومندى رعوده
بش البدر وازها لِيةّ
نادر من الحوش بجميلة
دل عليه ماله وصايف
مقرون بعيونٍ كحيلة

الغوص
رحلة المعاناة والكفاح

يمثل الغوص بحثاً عن اللؤلؤ جانباً مهماً من جوانب النشاط الاقتصادي في الحقبة التاريخية التي سبقت اكتشاف البترول، والمصدر الرئيس للدخل في الإمارات والخليج حتى عشرينيات القرن العشرين، حيث بدأ انهياره بفعل ظهور اللؤلؤ الصناعي في اليابان، وبدء عمليات استخراج النفط وعوامل أخرى.

علي أحمد المغني
باحث في التراث الثقافي

كما لعب هذا النشاط دوراً مهماً في حياة هذه المجتمعات اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، وانعكس على الجانب المعيشي للناس في المنطقة، وظهرت خلاله حرف ومهن وصناعات موسمية، ارتبطت بهذا النشاط الاقتصادي الموسمي.

والغوص هو العمل الذي يَجمع البدو والحضر في رحلة شاقة تمتد لأربعة أشهر وعشرة أيام تقريباً، كلهم يجدون في هذه المهنة الرزق والمورد المالي الذي يعينهم في حياتهم.

كان موسم الغوص على اللؤلؤ، الذي يطلق عليه

الموسم العود (الكبير)، ينطلق في هذه الفترة من كل عام من نهاية شهر مايو، الذي يشكل بداية موسم القيظ (الصيف) حتى نهاية شهر سبتمبر، بظهور نجم سهيل تجري الاستعدادات للعودة (القفال).

ففي هذا الموسم تزدهر بعض الأنشطة الاقتصادية التي تبدأ بالتحضير لرحلات الغوص، وترتفع حركة البيع والشراء للمواد التموينية، حيث يقوم التجار بتموين السفن بالمواد الغذائية التي تكفي البحارة العاملين فيها طيلة الموسم، مثل الأرز والطحين والتمر والقهوة والسمن، والأدوية مثل «الخيل والقرط»، والغليون والحطب وغيرهما. ومن الأنشطة المتعلقة بذلك تزويد السفن بالماء، حيث يقوم بعضهم بجلب الماء في الجرب (القربة)، والأبياب (جمع بيب وهو علبة الصفيح) على ظهور الحمير؛ لتزويد السفن بها. كذلك تجري عملية تجهيز وصيانة السفن لتكون جاهزة لرحلة الغوص، حيث يقوم الجلاف والعاملون معه بصيانة السفينة، واستبدال ما تلف من خشبها، وسد الفراغات بين الألواح، وكذلك طلاء بدنها بالچونة (مزيج من الصل والهج والودچ)، ويتم تزويدها بالمعدات اللازمة، مثل الأنواع المختلفة من الحبال والمجاديف وغيرها، وكذلك من المهن المعروفة في هذا الموسم مهنة مفصّل الشراع (خبير تفصيل الشراع)، الذي يستعين به صاحب السفينة في صنع الأشرعة الخاصة بالسفينة.

البحـر، أمـا نوخـذة البـر فهـو ممـول الرحلـة ومالـك السـفينة، ويطلـق «نوخـذة إجعـدي» علـى الذي تمـوّل رحلته من قبـل تاجر أو ممـول، أمـا «نوخـذة خلـوي»، فهـو صاحـب السـفينة الـذي يعتمـد غالبـاً علـى مالـه الخـاص في تمويـل رحلتـه، و«المجدمـي» (مجدمـي صـدر)، هو رئيـس البحـارة ونائـب النوخـذة، والمسـؤول عـن السـفينة في حالـة غيابـه، وكذلـك هـو المسـؤول عـن تجهيـز السـفينة قبـل الرحلـة، و«السـكوني» (سـنّاد مُتْقـن)، هـو الـذي يمسـك بدفـة السـفينة، ويقودهـا بناء علـى توجيهـات النوخـذة، و«الغيـص» أو الغـواص، هـو البحـار الـذي يقـوم بالغـوص في أعمـاق البحر لاسـتخراج محـار اللؤلؤ من قاع البحر، والسـيب من يقوم بمسـاعدة الغواص أثناء غوصـه، فيقوم بإنزاله وسـحبه من البحر، كما يقوم بفلق المحار لاسـتخراج اللؤلـؤ، و«اليلّاسـين» (جمـع يـلّاس أو جـلّاس) هم البحـارة الاحتياطيـون الذين يحلون عنـد حدوث أي طـارئ لأحـد الغواصـين، كمـا يقومون بفلـق المحار، و«التبابـين» (جمـع تبـاب)، وهـم الأطفـال الذين لا تتجـاوز أعمارهم الثانية عشـرة، ويقومـون بالأعمال

وفيمـا يتعلـق بالعمـل في الغـوص، تبـرز بعـض المهـن في هـذا الموسـم، حيـث يأتـي البحـارة مـن مناطـق مختلفة في الدولة للعمل على سـفن الغوص، كل حسـب اختصاصه، ويطلق عليهـم «اليزوة»، بينما «السـردال» أو أميـر البحر هو رئيس سـفن الغوص، المكلف من الحاكم لقيادة أسـطول سـفن الغوص إلى المغاصـات، ويعطـي الأوامر ببدء الموسـم (الدشّـة أو الركبـة)، ونهايته (القفال)، وعلى ظهر السـفينة يبرز دور النوخـذة، وهـو قائد وربـان السـفينة، وصاحب الأمـر والنهـي عليهـا، ويطلـق عليـه كذلـك نوخـذة

البسـيطة، كتقـديم القهـوة والماء وغسـل الأوانـي وفلـق المحـار، وغالبـاً مـا يكونـون مـن أولاد الغواصين، و«الرضيف» هو الفتـى الذي يتدرب علـى أعمال الغوص، ويساعد السـيب، و«الجنّان» تطلق علـى البحـار الـذي يقـوم بحفظ حبـل (لِخـراب) وتنظيمـه داخـل خـن السـفينة، و«راعـي العاجبة» (صاحـب العاقبـة) البحـار الذي يوجد في مؤخرة السـفينة؛ ليتسلّم حبـل الخـراب مـن البحـارة بعد سـحبه، و«المتَبّـع» هـو البحـار الذي يقف أعلـى الفتحة الأمامية لسـطح السـفينة ليسـحب الحبل مـن مؤخـرة السـفينة، ويناولـه لشـخص موجـود في خـن صـدر (قعر السـفينة الأمامي)، و«النهام» المطرب الـذي يقوم بالغناء للترفيه عـن البحـارة، و«الطبـاخ» الـذي يقـوم بإعـداد الطعـام، ويشـارك في المهـام التـي يقوم بهـا البحارة الآخـرون، مثـل فلـق المحـار ويـر الميادیـف (جمع مجـداف)، ويطلق عليـه كذلـك «مجدمـي تفـر»، و«البـلّاد» مـن يقـوم برَمـي البلد في البحـر لقياس عمـق البحر في الموقـع المقصـود، وبعـض السـفن

يتوجه إلى «الهيرات» (مغاصات اللؤلؤ) لشراء اللؤلؤ من سفن الغوص، ومن ثم بيعه لكبار الطواشين، كذلك مهنة الدلال، وهو الوسيط أو السمسار، ومن المهن المرتبطة بهذا الموسم «الفيصول»، ويطلق عليه كذلك «المُقيس»، وهو خبير تقييم سعر اللؤلؤ.

ومن الأنشطة التجارية التي ارتبطت بهذا الموسم «التِّشالة»، وهي سفن تجوب البحر بين سفن الغوص لتزويدها بالمؤن الغذائية والأدوية والمياه، وتقوم بنقل الخطوط (الرسائل) والأخبار، وتنقل المرضى الذين هم على سفينة الغوص، وتعود بهم إلى البر. وكانت السفينة التي تحتاج إلى تموين معين أو المياه ترفع علماً أسود (نوف)، وذلك لتتعرف إليها التشالة، وتقترب منها لتزويدها بما تحتاجه.

لقد انتهت بعض هذه المهن والنشاطات الاقتصادية المرتبطة بموسم الغوص بانتهاء هذا النشاط، مثل مهن الغواصين والسيوب، وتحول أصحابها إلى نشاطات أخرى، خاصة بعد ظهور البترول في منتصف القرن العشرين، بينما استمر بعضها مثل مهن الجلافة والنواخذة والمجدمي حتى سبعينيات القرن الماضي، حيث استمرت السفن في ممارسة نشاطها البحري في التنقل بين الموانئ الكبيرة يحرص النوخذة فيها على اصطحاب المطوع، وكذلك الكيتوب الذي يقوم بكتابة حصيلة الغوص وما يحتاج إليه النواخذة.

ومن المهن التي ارتبطت بهذا الموسم «الطواشة»، وهي مهنة بيع وشراء اللؤلؤ، ويطلق على من يعمل فيها «الطواش»؛ أي تاجر اللؤلؤ، وينقسم الطواشون إلى فئات، فمنهم «طواش اللؤلؤ المموّل» الذي يقوم بتمويل سفن الغوص، و«طواش اللؤلؤ الصغير» الذي

القريبة، والقيام بالأسفار البعيدة، بغرض التجارة، إلى أن دخلت التكنولوجيا الحديثة في العمل البحري، وأحالتها إلى التقاعد، وتحول العاملون فيها إلى العمل بالوظائف الحكومية، ما آذن بنهاية مرحلة تاريخية ثقافية غنية عاشها إنسان الإمارات.

تبدو الحاجة الآن إلى أن تُدرس هذه الأنشطة الاقتصادية من قبل الباحثين؛ لما لها من مدلولات تركت تأثيراتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تلك المرحلة، ومازال بعضها حاضراً حتى الآن، والذي أتمناه أن تعرف الأجيال التي لم تعش هذه المرحلة قيمها ونظمها، والمعاناة التي عاشها الآباء والأجداد في مواجهتهم أهوال البحر وأخطاره.

جويهر بن عبود الصايغ في كنف سيده محمد بن حمد الشامسي

سيرة شعبية وشعرية

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد - الإمارات

في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، ولد جويهر بن عبود، وقضى طفولته في حصن الشيخ محمد بن حمد رحمة الشامسي، في منطقة «إيليلة» بأطراف «الختم»، وقد أولاه الشيخ محمد بن حمد رعاية واهتماماً خاصاً، كونه طفلاً يتيماً فقد والده منذ نعومة أظفاره

لذا نجد أن جويهر حظي بفرصة الجلوس مع الرجال، والتعلم منهم في مجلس سيّده، بدلاً من أن يكون باحثاً عن لقمة العيش، ويعاني شظف الحياة، وترعرع في جو يتعلم فيه الحكم، ويستمع إلى أحاديث حسنة المنطِق والمنطَق.

وفي هذه الأجواء سحره الشعر، وأصبح شاغله الأول، ومصدر تنفسه كلما ضاقت به الظروف، كيف لا ومعظم الشعر الذي تنفسه كان على لحن الونّة، وهو لحن حزين معبّر، يتميّز بديناميكية خاصة لا يعتري سامعه ومنشده الملل بسهولة، مهما تكرّر التغني به. وفي هذه الأجواء كان يرتحل جويهر مع سيده بين فترة وأخرى إلى مناطق الظاهرة كالسنينة وضنك وحماسة والمعترض، وإلى الإمارات الشمالية، حيث يسكن بنو عمومة سيده، وتعلّم جويهر في هذه الرحلات مبادئ الفروسية، وامتلك روح الشجاعة، حتى أصبح المرافق الأول لسيده، وساعده الأيمن، وهو مقام مهم يلزم الآخرين إظهار تقدير له، والتعامل معه باحترام، لما يحظى سيده من مقام رفيع في المجتمع.

لم يكن جويهر شاعراً كبقية الشعراء يمتهن الشعر

وسيلة لبلوغ غايات اجتماعية، وإنما كان الشعر يثور وحده متى أراد، ويجري على لسانه دون سابق استعداد؛ لذا كانت القصائد تأتي منسابة على لسانه، كما ينساب العسل بكثافة وهدوء حينما تعصر الخلية، وهو السبب الذي تجد قصة أو حدثاً مع أغلب قصائده.

فيحكى أنه كعادته خرج في صباح يوم صحو، وهو يحمل بندقيته على ظهره، ويتحزّم بمِحزم مملوء بطلقات الرصاص؛ كي يصطاد مؤنة البيت، وحينما عبر وادي أبوكربة، سمع صوت الحمام الراعبي من ناحية شجرة الغاف، فتختل حينما اقترب من الشجرة وصوّب بندقيته نحو الحمامة، ولكنه انتبه لفتاة جميلة تمشط شعرها تحت الشجرة، فامتنع عن إطلاق الرصاصة، فقد أصابه جمال الفتاة في نفسه، فأنشد يخاطب الحمامة:

يا الراعبي مرفوقي — عينك حشم عربان
نقدر عليك نْسوقي — بمنومِلٍ عطشان
يضرب حوالي الموقي — عند جولة الدّخان
عبد وحمق وحروقي — ولي عنّه القصران
لو باعني محقوقي — لاجله زين الأعيان
والقوت لو ما ذوقي — يا الراعبي لا كان

رجع جويهر إلى حصن سيده تاركاً وراءه فتاة جميلة أثرت في نفسه، ولكنه لم يشأ أن يحدث بها حتى نفسه، ولكن ظل باله مشغولاً بها، لدرجة أنه نسي كل ما كان خارجاً لأجله، فخاطب سيده قائلاً:

لهاني من لهاني — يا بوحمد واسهيت

فأجابه سيده محمد بن حمد بالبيت التالي، قائلاً لعلك أصبت من قائد الغزلان، كناية عن فتاة تفوق

الفتيات جمالاً وشموخاً:

بك قايد الغزلاني لو بك جهام البيت

وفجّر هذا البيت قريحة الشاعر، وكل ما كان يحاول كتمانه عن لقائه الفتاة الجميلة، ليعترف قائلاً:

بي من سكن سلطاني حتى انته ما دريت
جالس والعي زماني يوم أذكره ونّيت
يوم اذكره يا فلاني سال الدمع وبكيت
الصدر له دكّاني واتنقّ بْما اشتهيت
أشقى سْعيد وشقاني وين اطْرَبت وْهويت
وِفي نايف العيداني حمايم وافيت
يتناوحن بالحاني ومن عبرتهن شكيت
قلت لهن لا هواني قالن لي وش بغيت
خلّنا على ما كاني نبكي زمان ميت

أظهرت القصيدة الأولى تأثر جويهر برؤية الفتاة من ناحية، وأيضاً مدى تصغيره نفسه، كونه أسمر البشرة والملامح، ولكنها لم تظهر كم كان أثر رؤية هذه الفتاة الجميلة كبيراً في نفس جويهر، إذ لا يستطيع حتى أن يحلم بها، ولعل هذا التباين في الجمال أصبح منبع إبداعه الشعري، وأيضاً حافزاً لتفوقه في ميادين كثيرة، إذ أوجب على نفسه أن يتفوّق في ميدان الشجاعة والحكمة؛ كي يثبت أنه على منزلة عالية، ولا ينتقص الآخرين من قدره، كما بدأ يلاحظ.

أدرك جويهر أنه إنسان يتساوى مع الآخرين، وأنه ليس أقل درجة اجتماعية منهم، بل إنه يحظى بمنزلة عالية في مجتمعه، وفي الوقت نفسه يعلم أن كثيرين يحسدونه على ذلك، ويحاولون الانتقاص من قدره، ولأنهم لم يجدوا مدخلاً ليعيبوا عليه أخلاقه وأقواله، أصبحوا يرون العيب في لونه وعرقه، وهو بالطبع قصور في نظرتهم للإنسان وخالقه، ولعل موقفاً جرى بينه وبين امرأتين، يحكي كثيراً مما كان يضمر جويهر ويكتمه، فقد بادرهما بالسلام، فامتعنت إحداهما عن الرد، بذريعة أنه خادم، وهي أرفع مقاماً منه، فأنشد جويهر قائلاً:

معلوم إني هايف وإنّي نسل خدام
لكن ما أعطي جايف عند رْدود السلام
ولا سير في الأخلايف في داخداخ الظلام
ولا قاطع العرّايف يوم يْدور الكلام
ولا اتابع الطفطايف ولا اكبّر له مقام
ولا صدْ بللي شايف واسعى له باحتشام
وقلبي ما هب خوّايف يوم يْحق الزحام
يوم الردي ينكايف تشهد لي الأخصام
عندي مْعنى الاشرايف ولا تصوّخ النمّام
ياالله عساه احقايف الحاسد الظلاّم

أي كوني خادماً ليس بمعيار لقدري بين الناس، وإنما الأخلاق والشجاعة هي التي تضعني مع الأشراف منهم، كون المعاني السامية هي التي تحدد منزلة الرجل في قومه، مشيراً إلى أن المرأة بعدم معرفتها «السنع والمعنى»، وتجاهلها الرد على السلام، فإنها تؤكد رداءة باطنها، مهما حسن مظهرها من هذه الأفكار والأفعال المتخلّفة. وهنا يظهر جليّاً أن المنزلة التي وصل إليها جويهر أثارت الحقد والحسد في نفوس كثير من الناس، حتى بدؤوا بمضايقته علناً، بعد أن كان جويهر طفلاً يعطف على حاله الناس، وبين النظرتين؛ أي نظرة

العطف ونظرة الحسد، كانت نفس جويهر تنازع مفارقة غريبة، يحتاج دائماً إلى التعبير وإفراغ ما يشعر به من مشاعر متضاربة.

وفي رحلة من رحلاته مع سيده في ضنك، طلب منه أن يذهب إلى إحدى النساء لخياطة كنادير لهما، بعد عناء السفر الطويل، ولكن الموقف صدم جويهر، حيث إن المرأة رفضت أن تخيط له، فهجاها محذراً:

لو خاطت الكندورة باينكف القصيد
مشعوره ومعشوره ولها الوالي شديد

فأسرها في نفسه، وقرر الانتقام بطريقته، حيث ذهب إلى إحدى زوجات الشيوخ مادحاً لها، وحينما أغدقت عليه بالهدايا، أجابها أن هديته منها كساء كندورة يتباهي بها أمام الحساد؛ كي يعرفوا قدره، وألا يقدروا الناس بألوانهم حتى اشتهرت القصيدة الآتية بين الناس في ضنك:

ياتك منّي المثايل وقمْ يا زكي لجدود
قمْ يا بكسْ النحايل قمْ يا كبيرٍ عود
قمْ كسني مْن الفصايل بقلع عين الحسود
وان مرّيت السفايل بيقال: «بن عبّود»

تتوالى المواقف، وتظهر غيرة الرجال على الشاعر جويهر، إذ إن صيته ذاع بين الناس كشاعر شجاع وحكيم، وكلما زاد صيت الشاعر ظهر امتعاض الآخرين ومضايقاتهم، ففي أحد الأيام طلب الشاعر بكل لطافة من شخص وفوجئ برفض حاد ولم يعطه حليب إبله، فهجاه جويهر في قصيدة مشهورة:

أخير تحفظه زيني منقاشك يا «مطر»
لو في صبي العيني ودي يكون بْشَر
يعل الربْ يغنيني عن بوشك يا الغثر

عسى مَ لْهن جنيني إلّا خُراش ودبَر
وعسى مَ لهن حنيني إلا قوم وعقر
طلبت منك بليني وماهوب طالب عسر
مزر الأثم يكفيني لو يا فوقه عذر
لو بك ضفو بيبيني وبينقل لك خبر

أصبحت قصائد جويهر الهجائية اللاذعة مصدر بلبلة في السنينة، مسكن سيده، وتسببت في ورود شكاوى كثيرة إلى الشيخ محمد بن حمد الشامسي، فطلب من جويهر التوقف عن قول الشعر؛ كي يهدئ النفوس، وامتثل جويهر لهذا الطلب، وتوقف لمدة طويلة عن الإنشاد، كان هذا الأمر صعباً على الشيخ محمد بن حمد أيضاً، فجويهر ليس خادماً لديه، وإنما تربية يديه، وأقرب الناس إلى قلبه، وكثيرة هي القصائد التي تدور بينهما، بين مشاكاة ومجاراة ومعارضة؛ لذا فإن امتثال جويهر أمر سيده كان مؤلماً على الاثنين، فبالشعر كانا يسمران ليالي أسفارهما، وبالشعر كانا يزيحان عن كاهلهما التعب، وتوقفت قريحتهما عن إنشاد جديد الشعر لفترة طويلة، صعّب كثيراً عودتهما إلى بدء ثنائياتهما الشعرية. وفي طريق أحد أسفارهما إلى ميناء مسقط، حيث كان أكبر مركز لنقل البضائع بين اليمن والهند وإفريقيا، توقف الشيخ محمد بن حمد للاستراحة، وطلب من جويهر أن يعد القهوة، وحينما همَّ جويهر في سقي سيده من القهوة، لفتت انتباهه فتاة جميلة عبرت من أمامها، فتذكر أول أيام شبابه، وتلك الفتاة الجميلة التي كانت تمشط شعرها تحت شجرة الغاف، وسأله سيده عن شدّة تأثره، فقال جويهر إنها ليست بفتاة عادية؛ إنها فتاة ملهمة، تحرّك القريحة، ولا تبرح النفس قبل أن

تترك فيها قصيدة جديدة، فاسمح لي أن أعبر عما يجول في خاطري؛ لتخلّد هذه القصيدة:

يا بن حمد يا سنادي ... رخصه قلْ لي مباح
بظهر كنين فْوادي ... نظم حلو نصّاح
ما يهتني برقادي ... لي مصيوب بجراح
عوق المودّة سادي ... فوق البدن منساح
شابك مشبك لايادي ... وين اشبكت الأرواح
لو سْمعت طير الوادي ... غبشة لعى بصياح
في نايف الأعوادي ... تميل به لارياح
لفواد له ما عادي ... ولا النظير إلتاح
مابي سكن السّوادي ... بي من ظبا لابطاح
غزلانٍ في البوادي ... زادن قلبي انضراح
زرعٍ سقاه النادي ... سوّى قضيم وساح
لو أنا بلغت مْرادي ... كان القلب استراح

لم تكن الرحلة إلى ميناء مسقط هذه المرة رحلة عادية، فقد كان جويهر كثيراً ما يمعن النظر في جولاته في الأسواق في كل الأعمال والحِرَف، ويفاضل بينها باحثاً عن أقصر الطرق إلى الغنى والثروة وأصعبها، وكان سيّده يستعد للزواج، ويشتري من العطور والبخور والأقمشة والذهب ما سيحتاجه لهذا العرس المرتقب، وفي دكان الصائغ وجد جويهر ضالته التي يبحث عنها منذ أن وصل إلى مسقط، فاستأذن سيده في تعلّم هذه الحرفة، وأجادها أيما إجادة، وفي وقت قصير جداً، وأصبح يملك أدواتها وأسرارها، ويتحيّن الفرصة لممارستها مستقلاً عما قريب، ولكن وفاءه لسيّده أجل أحلامه سنين طويلة. نعم أصبح جويهر يفكر في الغنى والمال كي يعتمد على نفسه، ويستغني عن الآخرين؛ لأن الشجاعة والقوة والسيرة الحسنة لم تستطع أن تحقق له النفوذ الذي يريد، وحتى نفوذ سيده لن يكون دائماً له، وإنما هو زائل بموت سيده بعد حين، هذه الأفكار كانت تدور في رأس جويهر بشكل مستمر ولا تبارح ذهنه.

وعند وصولهما إلى مناطق الظاهرة عائدين من ميناء مسقط؛ لخطبة الفتاة، لاحظ الناس مطايا الشيخ محمد المحملة بالهدايا، وصدقت لهم أخبار حضور خطبة الفتاة قبل أن يحدث ذلك، وحينما وصل الشيخ إلى منزل والد الفتاة، جلس جويهر خارج المنزل يراعي إحدى المطايا اللاتي كانت تعاني إعياء شديداً، وبينما هو كذلك، فإذا به يسمع أربع نساء يتحدّثن في موضوع زواج الفتاة، وكيف لهن أن يسترن عليها كي لا يكشف سرها لخطيبها، هنا حار جويهر في إيجاد طريقة لإخبار سيده دون أن يجرحه، فهو يعلم المشقة الكبيرة التي تكلفها في هذا الطريق، فأعد قصيدة، وطلب سيده متعذراً بحالة المطية السيئة، وحينما وصل سيده فاحصاً المطية، فإذا به يتغنّى بهذه القصيدة في حضور سيده ووالد الفتاة:

أربع حمايم ضيّن ... وتغاطن ... في الماضي من زمان
يبغن على لمبيّن ... يتواطن ... ويزيدنّه دفان
لا تشترِ لمعيّن ... كُن فاطن ... عوقي الشّرعي بيان
ولا تلتفت للهيّن ... وتباطن ... زوده ترى نقصان
وترى البدع لمطيّن ... لمشاطن ... يسهفك لو رويان
ودارٍ هواها ليّن ... من باطن ... اعتاض عنها بْشان
والبال من يتشيّن ... ما ياطن ... لو في ربع صدقان
واركب هجن لي هيّن ... ما يْباطن ... إن حقّت الأظعان
وان ينْ يدد ما يعيّن ... يخاطن ... بك عن حفا وأمحان

واختصْ في لمزيّن ... يا قاطن ... بيتٍ رفيع أركان

وعلى الفور فهم سيّده المقصد، وانصرف قبل أن يخطبها دون إحراج أحد، فقد كان دهاء وفطنة جويهر وقريحة الشعرية الخصبة سبباً في الخروج من هذا المأزق، ولم يكن جويهر منقذاً في هذا الموقف فقط، وإنما مواقف كثيرة،إذ كانت ملازمته الشيخ أمراً لا غنى عنه، وخاصة بعد أن ظهرت علامات كبر السن على الشيخ محمد بن حمد، وأصبح جويهر هو من يراعي شؤونه، وفاء لكفالته يتيماً في أول حياته. ولم تمض إلا سنين معدودة، وفقد جويهر سيّده، واستعاد إحساس اليتم مرة أخرى في الكبر، فقد كان الشيخ محمد بن حمد أباً وأخاً وصديقاً لم يعرف غيره في حياته، وهو الآن مجبر على مواجهة الحياة وحده، والتعايش مع موت سيده منكسراً دون سند أو حزام يشد ظهره، وبموت سيده تغيرت ملامح الحياة عند جويهر، صحيح أنه أوصى بعتقه، ولكن كيف للإنسان أن يعتق أي جزء من قلبه، أو أي جزء من روحه، هو التمزق الذي يولد الجرح، وأي جرح أكبر من فراق بسبب الموت. ترك جويهر قصر سيده، وعاش وحيداً لفترة، وحينما مر يوماً بجانب القصر كانت قصيدته كافية لشرح حاله:

يا قصر أشوفك كابي ... لا نور ولا سفر
ولا لك نديم منابي ... يا صبرك ع الهجر
تلعب فيك الغرابي ... حتى حالك عبر
وذكرت قلبٍ ذابي ... متعلّل من دهر
وجاوب بصوتٍ غابي ... كسري ما ينجبر
وتنشدني وش تبا بي ... وانته معك الخبر
روّح شيخ الجنابي ... خذ ما بغاه وزر

العيد ومواسم الفرح عند الأمم

لا تـكاد تخلـو أمـة مـن الأمـم مـن أعيـاد تخصّهـا، فلـكل أمـة أعيادهـا التـي تمثـل مظهـراً خاصـاً لهـا، وتتنـوّع الأعيـاد وتتعـدّد تبعـاً لتباين الأمـم فـي ثقافاتها ومللها وعاداتها، وتختلـف معهـا مواسـم الفـرح والزينـة، وأيام البهجـة لديها، إذ لـم يكـن العيـد الـذي اعتـاد النـاس أن يتفاءلـوا بعودتـه عليهـم كل عـام بفـرح مجـدّد مقصـوراً علـى شـعب دون غيـره، أو أمـة دون سـواها

خالد صالح ملكاوي
باحث وإعلامي – الأردن

الأعيـاد مواسـم وجـدت لـدى الأمم والشـعوب كافـة، نظـراً لارتباطها بغريـزة طُبع النـاس عليهـا في السـعي؛ لأن تكـون لمجتمعاتهـا مناسباتها التي تحتفل بها، ليظهر أفرادهـا فيهـا الفـرح والسـرور.

وارتبطـت الأعيـاد قديمـاً بالمواسـم، مثـل مواسـم المطـر، ومواسـم الحصـاد، وغيرهمـا من المواسـم التي تهم الإنسـان، كمـا ارتبطـت بالديـن، ولعـل أهـم الأعيـاد الدينيـة التـي يعرفهـا العالـم، تلـك التـي يمارسـها المسـلمون والمسـيحيون واليهـود؛ فللمسـيحيين أعيادهـم، مثـل عيـد الميـلاد، وعيـد البشـارة، وعيـد القيامـة، وعيـد الغطـاس، وعيـد رأس السـنة، وعيـد أحد الزعـف، التـي تعتمـد في مواعيدهـا علـى التاريـخ الميـلادي. ولليهـود أعيادهـم، مثـل عيـد رأس السـنة العبريـة، وعيـد يـوم الغفـران، وعيـد الفصـح، وعيـد المظلـة، وعيـد التدشـين، وعيـد الأشـجار، إذ يتـم حسـاب مواعيـد أعيادهـم وفقـاً للتقـويم اليهـودي، الـذي يعتمـد خوارزميـة ترصـد الأهلّـة لـكل شـهر جديـد، ولهـم حسـاباتهم في ذلـك، فتتـم

الملاءمـة بـين الـدورة القمريـة والـدورة الشمسـية، بحيـث يحـل العيـد في موسـمه السـنوي المحـدد، كمـا أن لهـم توقيتهـم، فيمتـد وقـت العيـد لخمـس وعشـرين سـاعة بعـد بدايتـه التـي تنطلـق قبـل غـروب الشـمس بنصـف سـاعة.

ولأعيـاد المسـلمين مـا يميزهـا عـن أعيـاد الأمم الأخـرى، وعـن غيرهـا مـن الأعيـاد البدعيـة؛ فعيـدا الفطـر والأضحـى، اللـذان يمثـلان أفضـل أعيـاد المسـلمين وأهمهـا، عيـدان ربَّانيـان، أمـر الله سـبحانه بهمـا، يجيئـان بعـد موسـمين عظيمـين لأداء ركنـين مـن أركان الإسـلام، ويشـكلان فرصـة لاجتمـاع الأمـة علـى مسـتويات مختلفـة مـن العبـادة والتواصـل والتفاعـل، سـواء كان ذلـك في الصلـوات أو اللقـاءات العائليـة والإقليميـة، أو في صـور التكافل والتعـاون، حيـث إطعـام الفقـراء، وإغناؤهـم، فيهمـا واجـب أو فضيلـة.

ويعـود أول يـوم عيـد احتفل بـه المسـلمون إلـى السـنة الثانيـة للهجـرة، إذ احتفل المسـلمون بعيـد الفطـر، بعـد أن فُـرض رمضـان في تلـك السـنة، وشُـرعت صـلاة العيـد وزكاة الفطـر، وكان في العصـور الإسـلامية المبكرة

ينـادى لصـلاة عيـد الفطـر بنـداء «الصـلاة جامعـة»، ثم اختفى هـذا النـداء. ولا يؤذَّن لصـلاة عيد الفطـر، وليس لهـا إقامـة. وبعـد الصـلاة يلقي الإمـام خطبـة جامعـة عـن هـذه المناسـبة السـعيدة. وفي عهـد الخليفة الثالـث عثمـان بـن عفـان، قـدَّم الخطبـة على الصـلاة، وكان معاويـة أحـدثَ الخطبـة قبـل الصـلاة في العيـد، ويـروى أنـه كان أول مـن أحـدث الأذان في العيـد، ثـم عـادت بعـد ذلـك الصـلاة قبـل الخطبـة.

معاني العيد

العيـد في المعاجـم العربيـة، هـو مـا يعـود مـن همّ أو مـرض، أو شـوق أو نحـوه، وهـو كل يـوم يُحتفَـلُ فيـه بذكـرى حادثـة عزيـزة أو دينية. وتجعل المعاجم العربية جذر كلمـة العيـد مـن: (عَ وَ دَ) بمعنـى الرجـوع، أو مـن: عـاد، وتحمـل المعنـى نفسـه، بمـا يعنـي أن العيـد أيـام تعـود في الزمـان ذاتـه مـن كلّ عـام وسـنة، ويتقـارب المعنـى نفسـه في بعـض مـا يحويـه مـع معنـاه في لغـات أخـرى، مثـل الآراميـة والسـريانية، فالعـود في الآراميـة يعنـي الرجـوع أو التكـرار، دون أن يعنـي هـذا اليـوم عيـداً، ويحمـل معنـىً احتفاليـاً، علـى العكـس ممـا هـو موجـود في اللغـة السـريانية، حيـث يعنـي الاحتفـاء والفـرح والبهجـة.

لـذا، فتسـمية العيـد عيـداً لعَـوده وتكـرّره؛ ولأنـه يعـود كل عـام بفـرح مجـدد. ولا يقتصـر العيـد على شـعب دون غيـره، أو أمـة دون سـواها، ولقـد كانت الأعيـاد متداولة بين الأمم السـابقة منـذ القدم، فقد قـال الله، عـزَّ وجَلَّ، و هـو يذكر تحاور السـحرة مع فرعون : ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى* قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾، ويـوم الزينـة هو يـوم العيد الـذي هو يـوم الاجتماع العـام الشـامل، كما ذكر سـبحانه العيـد في قوله: ﴿ قَـالَ عِيسَـى ابْنُ مَـرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَـا أَنْزِلْ عَلَيْنَـا مَائِدَةً مِـنَ السَّـمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيـدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَـا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَـا وَأَنْـتَ خَيْـرُ الرَّازِقِـينَ﴾، وذلـك حـين طلب المسـيح، عليـه السـلام، مـن الله، سـبحانه وتعالـى، أن يلبـي طلـب الحواريـين، فينـزل عليهـم مائدة من السـماء؛ لتكـون عيـداً لأولهـم وآخرهـم، أي تعـود عليهـم بالخيـر والبركـة كلما تجـددت هـذه الذكرى في كل عـام.

دلالات العيد ومضامينه

العيـد بمدلولاتـه عند النـاس كافة، هو موسـم للاجتمـاع والزينة، وللفرح والبهجة والسـرور، والعيـد عنـد المسـلمين مظهـر مـن مظاهـر الديـن، وشـعيرة مـن شـعائره، وهـو ينطوي علـى حِكَـم عظيمـة، ومعـان جليلـة، وأسـرار بديعـة، لا تعرفهـا الأمم الأخرى في شـتى أعيادهـا، ففيه

المعاني الإنسـانية، وفيه المعانـي الدينية، وفيه المعاني الاجتماعيـة، وفيه المعاني التي تبعـث بالنفس الأمل.

فالعيـد في معنـاه الديني شـكر للّه تعالـى على تمـام العبـادة، فتعتلـج في سـرائر المسـلم رضـاً واطمئنانـاً، وتظهـر في علانيتـه فرحـاً وابتهاجـاً، وتسـفر بـين نفـوس المؤمنـين بالبِشـر والأُنـس والطَّلاقـة، وتمسـح مـا بـين الفقـراء والأغنيـاء مـن جفـوة. والعيـد في معنـاه الاجتماعـي يـوم الفقـراء، يلقاهـم باليسـر والسـعة، ويـوم الأرحـام يجمعهـا علـى البـر والصلـة، ويـوم المسـلمين، يجمعهـم علـى التسـامح والتـزاور، وهـو يـوم الأصدقـاء، يجـدد فيهـم أواصـر الحـب ودواعـي القـرب، ويـوم النفـوس الكريمـة تتناسـى أضغانهـا، فتجتمـع بعـد افتـراق، وتتصافـى بعـد كـدر، وتتصافـح بعـد انقبـاض، وهـو كذلـك يـوم الأطفـال، يفيـض عليهـم بالمـرح والفـرح والحبـور.

وربـط الإسـلام أعيـاد المسـلمين بتقويـة العلاقـة بـين أفـراد المجتمـع، وإبـراز روح التكافـل والتعـاون، باعتبـار أن التكافـل بـين النـاس قيمـة إنسـانية اجتماعية راقية، حيـث أتـى الحـثُّ علـى الإنفـاق في هذيـن العيديـن، كنـوع مـن الشـكر علـى أداء هـذه العبـادات العظيمـة، ففـي عيـد الفطـر زكاة الفطـر طُعْمَـة للمسـاكين، أمـا في عيـد الأضحـى فتُعَـدُّ الأضاحـي أحـد مـوارد التكافـل الاجتماعـي.

وللعيد معانيه ودلالاته السياسية القوية، كما يفسّرها الرافعي عبر ما يتضمنه العيد من مثل هذه القيم الإنسانية الاجتماعية، إذ من أجل هذه المعاني فُرض العيد ميراثاً دهريّاً في الإسلام؛ ليستخرج أهل كل زمن من معاني زمنهم، فيضيفوا إلى المثال أمثلة مما يبدعه نشاط الأمة، ويحققه خيالها، وتقتضيه مصالحها، فالعيد، كما يقول الرافعي، إنما هو المعنى الذي يكون في اليوم لا اليوم نفسه، وكما يفهم الناس هذا المعنى يتلقون هذا اليوم؛ فالعيد في الإسلام هو عيد الفكرة العابدة، وكانت عبادة الفكرة هي جمْعها الأمة في إرادة واحدة على حقيقة عملية، إذ إن العيد إثبات الأمة وجودها الروحاني في أجمل معانيه، فهو يوم استرواح من جِدِّها، ويوم المبدأ، ويوم إشعار ها بأن فيها قوة تغيير الأيام، ففي العيد تعرض جمال نظامها الاجتماعي، فيكون يوم الشعور الواحد في نفوس الجميع، والكلمة الواحدة في ألسنة الجميع؛ يوم الشعور بالقدرة على تغيير الأيام، لا القدرة على تغيير الثياب.

وليس العيد إلا تعليم الأمة كيف تتسع روح الجوار وتمتد، ففيه إطلاق روح الأسرة الواحدة في الأمة كلها، كما أن العيد ليس إلا إظهار الذاتية الجميلة للمجتمع؛ فيه إبراز الكتلة الاجتماعية للأمة متميزة بطابعها الشعبي، وفيه فرح المجتمع كله بخصائصه، والعيد أيضاً ليس إلا التقاء الكبار والصغار في معنى الفرح بالحياة الناجحة المتقدمة في طريقها، وترك الصغار يلقون درسهم الطبيعي في حماسة الفرح والبهجة، ويعلِّمون كبارهم كيف توضع المعاني في بعض الألفاظ التي قد تكون فَرَغَتْ عندهم من معانيها.

الاحتفاء بالعيد

إلى جانب ما في العيد من إظهار الفرح والسرور والنشاط والحبور، وإظهار النعم ولبس الزينة، والتسامح والتواصل، فإن للعيد عاداته المتوارثة، واحتفالاته المميزة التي اختصت بها المجتمعات المسلمة عبر التاريخ. وممن تميز بالاحتفال بالعيد

المماليك، فقد اهتم سلاطينهم بعيدي الفطر والأضحى اهتماماً كبيراً، وكان الناس يستعدون لهما استعداداً فخماً، فيسهرون ليلة عيد الفطر حتى ساعة متأخرة من الليل، في شراء وإعداد الملابس والزخارف والكعك والحلويات، وتبادل التهاني بالعيد، وكانوا يفضلون أكل السمك المجفّف في العيد، وهي عادة متوارثة في مصر، ويخرج الناس مع الإمام بعد الانتهاء من صلاة العيد في المسجد، يكبروا ويهللوا وبأيديهم القناديل، ويذهب العامة إلى المقابر أو التنزه في مراكب النيل.

وكانت تُحمل خلع العيد إلى السلطان، ويدخل ليلة العيد الأمراء على السلطان للتهنئة، وتقبيل يديه، وفي الصباح كان السلطان ينزل إلى البلاط السلطاني لتأدية الصلاة في موكب فخم، وعند عودته إلى الديوان يُمد السماط الفخم، وفيه أنواع الأكل والشراب، ثم يخلع على الأمراء وأصحاب الوظائف، كما كان يفرج عن بعض المساجين بمناسبة العيد.

أما في عيد الأضحى؛ فكان السلطان يصلي العيد في موكب حامل، ويقصد الديوان بعد ذلك ومعه الأمراء، وكانت تُذبح الأضاحي أمامه، وتُنحر الذبائح في باب الستارة بعد ذلك، ويُفرق لحم الذبائح، ويتوجه بعد ذلك إلى البلاط السلطاني، ويذبح به أيضاً، ثم يُفرق الخلع على من جرت العادة عليهم، فكان من سمات عيد الأضحى عندهم توزيع السلاطين الكثير من اللحوم والأموال، وقد اختص الأمراء بنصيب كبير مما يوزعه السلطان من الأضاحي، وتميز الناصر محمد بن قلاوون بتوزيع الكثير على الناس والمماليك.

كما أخذت العيدية شكلاً رسمياً في العصر المملوكي، وأطلقوا عليها «الجامكية»، وكانت تُقدَّم من خلال طبق تتوسطه الدنانير الذهبية، ويحيط به الكعك والحلوى، وتُقدم من السلطان إلى الأمراء وكبار رجال الجيش، وتُقدَّر العيدية حسب الرتبة التي تقدم لها.

وعند الفاطميين حمل عيد الفطر عندهم اسم «عيد الحلل» لما فيه من كسوة للناس، حيث كان الخليفة يتولى كساء الشعب، وخصصوا لذلك في عيد الفطر عام 515 هـ، ستة عشر ألف دينار لتقديم الكساء للشعب، وحرصوا على توزيع العيدية مع كسوة العيد خارجاً عما كان يوزع من الدراهم الفضية على الفقهاء وقرّاء القرآن الكريم، بمناسبة ختم القرآن ليلة الفطر، وعندما كان الرعية يذهبون إلى قصر الخليفة صباح يوم العيد للتهنئة، وكان الخليفة ينثر عليهم الدراهم والدنانير الذهبية، من منظرته بأعلى أحد أبواب قصر الخلافة.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. فتح الباري شرح صحيح البخاري.
3. قاموس المعاني.
4. لسان العرب.
5. معجم المعاني الجامع.
6. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: العهد الأموي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط7، 2000.
7. مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، بيروت: المكتبة العصرية، ج1، 2002.
8. مفيد فوزي، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر المملوكي (648-923ه 1258-1517م)، عمان: دار أسامة، 2003.
9. اليعقوبي أحمد بن إسحاق، البلدان، تحرير: محمد أمين ضناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م.

طقس الحَوْلي[1] في المغرب

تعدّ المملكة المغربية من الأقطار العربية الغنية بموروثها الثقافي المادي وغير المادي، والمغاربة متشبثون بتراثهم، سواء من ناحية اللباس أو الأكل أو العادات والتقاليد أو المناسبات أو غيرها، من يزر المغرب وتأته فرصة قضاء عيد الأضحى فيه، فلاشك في أنه سيعيش أجواء وطقوساً مختلفة عن بلده في الاحتفال بالأضحية (الحولي)، أما من يعش بينهم فلا تخطئ عينه كل عام جديداً في تلك الطقوس، لاسيما عند التنقل بين الجهات، ومعاينة الاختلافات والخصوصيات التي تنفرد بها مناطقه وجهاته الجغرافية.

د. يحيى لطف العبالي
باحث وأكاديمي بالتراث

تبدأ طقوس الأضحية «الحولي» بانتشار بيع حاجات الأضحية (الحولي) من أدوات وأوانٍ تقليدية للطهي، إلى جانب المواد المستعملة في الشواء، من مواقد طينية أو معدنية، والفحم المسمى بالدارجة «الفاخر»، وسمي الفاخر درءاً للتطير . ثم سكاكين وأدوات الذبح والسلخ والتقطيع المختلفة، المعروضة على أرصفه الشوارع القريبة من التجمعات السكنية، وخاصة الشعبية منها، وفي داخل الحارات (الزنقة) بالدارجة، يوجد أشخاص بماكينات لشحذ السكاكين، وتسمى بحسب الحجم من الأصغر إلى الأكبر «موس، جنوية، شاقور»، بأنواعها، مقابل مبلغ بسيط؛ فيما يقوم آخرون ببيع أعلاف «الحولي» وتزدهر محال البهارات (العطرية) بالدارجة في موسم عيد الأضحى، حيث تتطلب الأكلات الشعبية في العيد بهارات متنوعة.

يتم عرض أنواع الأكباش بأحجامها المختلفة في البوادي بالأسواق الأسبوعية، كما تكون خارج المدن بساحات مفتوحة، تعقد فيها أسواق مؤقتة، بإشراف السلطات المحلية، نظير رسوم لكل سيارة أو دراجة نارية، تسمى «هوندا» أو «تريبورطور»، يعج السوق بالناس وتباع الأضاحي بأنواعها «أكباش وأغنام وجديان، وحتى عجول». والأنواع المطلوبة في الغالب هي الأكباش، وأشهرها «الصردي والبرقي والبنقي والدمان وأبي الجعد... إلخ». ويلاحظ الزائر لهذه الأسواق إقبال مختلف الفئات، رجالاً ونساء وأطفالاً، حيث يمثل اقتناء الحولي مناسبة مميزة جديرة بالتفاخر والتباهي بالنوع والحجم وهيئة القرون، كما يتنافس الكسابة (أصحاب القطعان) والسماسرة (الشناقة) من أجل التأثير في أمزجة المتسوقين، وفي التحكم في الأسعار طبقاً لميزان العرض والطلب في السوق.

ويسعى شباب آخرون إلى تقديم خدمات حمل الأضحية «الحولي» إلى سيارة الزبون أو إلى وسيلة النقل بالأجرة التي تكون مصطفة في طوابير بمحاذاة السوق.

وهكذا يعرف هذا النشاط التجاري انتعاشاً ملحوظاً لأسبوع

أو أسبوعين، ولاسيما خلال الأيام الأخيرة السابقة عن العيد، يسترزق خلاله العديد من المتدخلين.

وعند مدخل الزقاق يكون أطفال الحارة بانتظار القادم بأضحيته ليتم الاستقبال والاحتفاء بها، وعادة ما يكون رب الأسرة مصحوباً بأولاده عند الوصول إلى مكان الإقامة، حيث يحرص الأبناء على اقتياد «الحولي» لإدخاله الدار، ومعهم أطفال الحارة، وتبدأ الأسئلة والإجابات عن السعر والنوع، والتعبير عن السعادة. ويحصل الحولي على زفة من خارج الدار حتى مربطه، وغالباً ما يكون في سطح المنزل. وفي الأحياء الحديثة تقام أماكن عامة لإيداع الحولي حتى يوم الأضحية، تحت حراسة أجير يسمى «العساس»، مع تمييز الأضاحي بأرقام مدموغة على قطع بلاستيكية تكبس على الأذن، وهي تصريح من الجهات المختصة بالسلامة الصحية.

يهيأ مكان للأضحية «الحولي» وتضاء الشموع ويرش بالملح من الليلة الأولى للشراء حسب معتقدات محلية، كما يتم عمل البخور والحناء له عند وصوله الدار، كطقس مهم في هذه المناسبة. وفي يوم العيد يحرص أفراد الأسرة على معاينة شعيرة النحر، مع ملاحظة إقدام عديد من الأسر على نحر أكثر من أضحية، خصوصاً منها الموسرة التي كانت فيما مضى تتقيد بأضحيات، حسب أعداد ذكور المنزل الواحد. ومن التقاليد قيام «المخزن» [2] بإهداء عدد من الأضاحي لأسر ترفع بكشوفات سنوية.

ولا تتم شعيرة النحر إلا بعد صلاة العيد، والتأكد من قيام الملك باعتباره «أميراً للمؤمنين»[3] بنحر الأضحيتين الرسميتين، إحداهما عنه وعن أسرته ينحرها

بيديه، والثانية عن فقراء مملكته، وينحرها نيابة عنه إمام الجامع الذي صلى فيه صلاة العيد، ويذاع ذلك مباشرة عبر وسائل الإعلام الرسمية المرئية والمسموعة.

بعد ذبح الأضحية والاحتفاء بذلك، تبدأ طقوس أخرى، منها أن يجمع شيء من دم الأضحية، ويوضع بأحد أركان الدار، كما تقطع البنكرياس وتعلق على أحد جدران السطح، أما ثوب البطن «شحمة الكرش» فتعلق لتجفيفها تحت أشعة الشمس، واستخدامها بعد ذلك في الكسكس، الوجبة التقليدية المهمة كل جمعة بالمغرب، والمصنفة حديثاً ضمن قائمة التراث العالمي غير المادي، ومن الطقوس أن يشوى رأس الحولي، حيث يحرص شباب كل حارة على تجميع أخشاب كوقود، واستقبال رؤوس الأضاحي من سكان الحارة للقيام بشيّها مقابل أجرة معينة؛ كما تعمل الأسر على

الجلوس يوم العيد بشكل جماعي لإعداد «أبو لفلاف»، وتناوله مع الخبز والأتاي [4] فقط، بينما يترك كامل لحم الأضحية من دون تقطيع حتى يجف. وفي اليوم الثاني يبدأ التوافد على الجزارين، لإنجاز عملية تجزيء الكبش إلى قطع، وعمل أجزاء منه كلحم مفروم.

وخلاصة القول إن طقس «الحولي» بالمغرب موروث ثري محافظ عليه، والجميل فيه اشتراك عدد من المستفيدين من مزارعين إلى تجار مواش إلى جزارين إلى حمالين، إلى شبان يجدون في موسم العيد فرصة سانحة للكسب، سواء ببيع الأدوات والأواني والمواد والأعلاف، أو بالقيام بالسمسرة أو النقل أو الحراسة، أو بجمع الجلود، أو الشواء مقابل أجر مادي من صاحب الأضحية، تظهر هذه الطقوس قبل العيد بفترة، وتستمر حتى آخر أيام التشريق.

ولأن طقس الأضحية مهم، فالحديث يروج بين المواطنين هذه الأيام حول شعيرة النحر هذا العام، هل ستكون سارية أم معرضة للإلغاء نتيجة الحجر الصحي القائم بسبب «كوفيد 19»، وانتقل السؤال إلى رئيس الحكومة عبر مجلسي النواب والمستشارين، وقد أجاب رئيس الحكومة أن القرار من اختصاص الملك (أمير المؤمنين)، وهو دليل على أهمية الأمر، والجميع بالانتظار.

1- **الحَوْلي**: الاسم المحلي لكبش أضحية العيد في المغرب والجزائر، وأتت التسمية؛ لأنها ذبيحة الحول (العام).
2- المخزن: هو جهاز السلطة في شكله التقليدي.
3- أمير المؤمنين: هو إمام الدين والدنيا.
4- الأتاي : الشاي الأخضر مع النعناع والأعشاب العطرية.

كلباء

درّة الساحل الشرقي

كلباء إحدى مدن إمارة الشارقة، وهي تطلّ على ساحل خليج عمان، ومن أشهر المناطق في مدينة كلباء منطقة الخوير وخور كلباء ومنطقة سور كلباء والمحطة وسهيلة والمصلى والعود والقادسية والمفرق والبراحة والبردي وحطين والبطين والقلعة، وهنالك ثلاث قرى تتبع مدينة كلباء، هي طريف والغيل ووادي الحلو.

تقع كلباء في الساحل الشرقي لإمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، وتحدّها إمارة الفجيرة من الشمال، ولها حدود مباشرة مع سلطنة عُمان.

هناك العديد من الأماكن التي يمكن زيارتها خلال زيارتكم هذه المدينة، مثل:

بيت الشيخ سعيد بن حمد القاسمي

تم بناء المنزل في منطقة الحصن، في الفترة ما بين 1898 و1901، على الواجهة البحرية، وتعود ملكيته إلى الشيخ سعيد بن حمد القاسمي، الذي حكم الشارقة آنذاك، ويتميز باحتضانه مجموعة من المقتنيات الإسلامية والإماراتية المميزة العريقة، حيث تشمل معروضاته

قطعاً أثرية متنوّعة، ونماذج من الفخار التقليدي، وعملات نقدية وأدوات وأسلحة قديمة، هذا ويضم المتحف مخطوطة للقرآن الكريم مطلية بالذهب، وتعود هذه المخطوطة بتاريخها إلى ما قبل 700 عام، مما يجعلها، بلاشك، من أثمن مقتنيات المتحف وأبرزها.

قلعة الغيل

تعدّ قلعة الغيل واحدة من القلاع التاريخية الشهيرة في الساحل الشرقي، بنيت القلعة نحو عام 1903، في عهد الشيخ سعيد بن حمد القاسمي، الذي كان يحكم كلباء، وتم ترميمها عام 2001، بناءً على توجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، وقد أصبحت مَعْلماً سياحياً وثقافياً، ذا بُعدٍ تاريخي وأثري، يعد موقع القلعة من أهم العناصر الدفاعية، حيث يحدد الموقع واختياره أهمية المنطقة، ومساحة الإشراف

والاطلاع، وتأمين حمايتها والدفاع عنها، وتمتاز المباني الدفاعية كالحصون والقلاع بتخطيط خاص لمبانيها ووحداتها الخدمية كأسلوب دفاعي، يتطلب تنفيذ بناء تلك المباني بشكل يساعد على حصانتها وقوتها وحماية سكانها، تم اختيار موقع الغيل في موقع مشرف ومسيطر، حيث تقع على تل صخري، وهي أشبه بالجزيرة وسط الوديان، حيث تحيط الوديان المنخفضة والمزارع بجوانب قلعة الغيل، كما يطلّ جانبها الجنوبي الشرقي على ساحل الخليج، فهي قلعة دفاعية عن الحدود البرية والبحرية.

مركز كلباء للطيور الجارحة

تم افتتاح مركز كلباء للطيور الجارحة في هذه المنطقة عام 2014، ويضم المركز 38 نوعاً مختلفاً من الطيور الجارحة، منها 14 من الأنواع المقيمة في المنطقة بشكلٍ دائم، مثل: البومة والصقر والشاهين. تعتز القبائل البدوية في شبه الجزيرة العربية بتقاليدها العريقة التي شملت الصيد باستخدام الطيور الجارحة، ولايزال الصيد بالصقور من الرياضات الشعبية المنتشرة في المنطقة حتى يومنا هذا، كذلك يقدم المركز عرضاً مميزاً للطيور الجارحة وهي تحلّق بحرية لمدة ساعة كاملة في الساحة الخارجية مرتين يومياً، ويسمح للزوّار بإلقاء نظرة عن كثب على الطيور التي شاركت في العرض، في جولة من وراء الكواليس.

يوجد في مدينة كلباء أطول نفق جبلي في الدول العربية، وهو النفق الذي يربط بين مدينتي الشارقة وكلباء، ويبلغ طوله أكثر من ألف وثلاثمئة متر. كما يعد الخليج الصغير في جنوب كلباء في أقصى البقاع الجنوبية في دولة الإمارات العربية المتحدة على ساحل المحيط الهندي، أقدم غابة استوائية في الجزيرة العربية.

وهذه المنطقة الهادئة الجميلة المملوءة بغابات الأشجار الخضراء، تشكل خلفية رائعة للصخور الكبيرة، والجروف المنحدرة في جبال حجر ذات

اللون الأرجواني، والمياه الزرقاء الصافية، أما المحمية الطبيعية في خور كلباء القِرم، فتعدّ كنزاً طبيعياً لا يقدّر بثمن، مساحتها تبلغ 1230 هكتاراً، وفيها أشجار يبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار.

في داخل هذه المحمية لا يمكن الإحساس بالوحدة، فصوت اندفاع الماء، وحركة الحيوانات، وأصوات الطيور من كل صوب، جعلت من هذا المكان عالماً جميلاً مملوءاً بالحركة والحيوية، ويوجد في المحمية جميع أنواع السرطان التي تحفر جحوراً لتحمي نفسها من طيور النورس والطيور المائية الأخرى التي تعيش في المحمية.

وقد جعلت الطيور والحيوانات الموجودة من خور كلباء محمية طبيعية ذات أهمية خاصة للحيوانات المعرضة لخطر الانقراض. وتعد المحمية الطبيعية في كلباء ملجأ رائعاً لأنواع مختلفة من الطيور، خاصة الطيور المائية، مثل البلشون، كما أن طيور القاوند الأبيض التي تواجه خطر الانقراض تفقس فقط في كلباء، ويوجد منها الآن 55 زوجاً فقط، والجهود مبذولة لحماية نوع آخر من الطيور من الانقراض، هو طير الشادي المغني، وتضع السلاحف الخضراء، المهدّدة بالانقراض أيضاً في جميع أنحاء العالم، بيضها في الشاطئ.

كما تتميز مدينة كلباء عن غيرها من مدن الساحل الشرقي باتساع الرقعة الخضراء فيها، وتضم مزارع وحدائق ومساحات خضراء كبيرة، كذلك عزّزت حديقة الشاطئ المعروفة سابقاً باسم «كورنيش كلباء» مكانة المدينة في الساحل الشرقي، من حيث اتساع الرقعة الخضراء، وتسهم بلدية كلباء في الأنشطة التي تساعد على انتشار الرقعة الخضراء، من خلال إقامة معرض الزهور وأسبوع التشجير، كذلك يوجد في كلباء حدائق أخرى، مثل «حديقة السدرة»، وهي من أقدم الحدائق في كلباء، و«حديقة سهيلة»، وتقع في منطقة سهيلة المقابلة لكورنيش كلباء.

راشد الشوق.. كنز بشري خالد

«الراوي»، ذلك الإنسان الذي يختزن في ذاكرته الكثير من المعارف والفنون التي استقاها من واقعه، وخلاصة تجاربه في الحياة، حتى أصبح كنزاً بشرياً يُحتفى به في المحافل الدولية؛ تقديراً لجهوده القيّمة التي بذلها في حفظ تراث مجتمعه، ونقله إلى الأجيال الصاعدة بأمانة وموضوعية، ومنهم راشد عبيد راشد الشوق، المنتمي إلى قبيلة آل علي، والذي ولد في إمارة الشارقة عام 1937، على وجه التقريب، وكانت طفولته عادية، عاشها بين أب وأم وأخوين وثلاث أخوات.

أُرسل في طفولته المبكرة إلى الكتاتيب (المطوع)؛ ليدرس القرآن الكريم، ويتعلّم بعض مبادئ الحساب والقراءة والكتابة، وفي هذه المرحلة ختم القرآن الكريم.

ويروى أن الشوق درس في المدرسة المحمودية لفترة قصيرة من الزمن، وهي من أوائل المدارس النظامية التي كانت تعنى بتدريس العلوم الدينية والمعارف الإسلامية والفقه والعربية وآدابها.

ارتاد مهنة الغوص، كغيره من شباب زمانه، نظراً للظروف المعيشية الصعبة، واستمر فيها فترة، مارَسَ خلالها العديد من الأعمال، فعمل: «وليد»، ثم «يلاس» ثم «سيب»، بعدها أصبح مسؤولاً عن إعداد الطعام في السفينة؛ أي بمثابة مساعد «مجدمي»، والمجدمي هو مساعد الربان (النوخذة).

في منتصف الخمسينيات سافر الشوق إلى الكويت؛ ليعمل هناك في شركة بترول، وكان عمره وقتها خمس عشرة سنة، ثم انتقل للعمل مع أحد تجار التمور، وبعدها عمل مراسلاً لنقل الرسائل سيراً على الأقدام.

وفي أوائل الستينيات رجع الشوق من الكويت ليعمل في الشارقة في القاعدة البريطانية، التي كانت موجودة في ذلك الوقت، واستمر حتى انسحاب الإنجليز من المنطقة في عام 1971.

انتقل الشوق بعد ذلك للعمل في تجارة قطع غيار السيارات، وساعده على ذلك إتقانه اللغة الإنجليزية التي اكتسبها من خلال تعاملاته وعمله مع الإنجليز.

ولكن هذا العمل لم يرضِ طموحه، حيث كان عاشقاً الثقافة، شغوفاً بالاطلاع على مختلف المعارف والفنون، يتحسّس الأحداث، ويعبّر عنها بمفهوم شعبي، ويمتلك الكثير من الأفكار التي تنتظر سبباً لتحريكها وإثارتها.

هذا الإحساس وهذا الاتجاه كانا دافعين لاشتغاله في المكتبة الثقافية، وهي أول مكتبة خاصة في الشارقة افتتحها محمد بن راشد الجروان، وفيها أشبع الشوق نهمه وعشقه للكتب والاطلاع، وتعلّم الكثير عن صناعة الكتب والأدوات المكتبية، وكان ذلك حافزاً لأن يحلم بتكوين مؤسسة ثقافية، يحقق من خلالها طموحاته، وشاءت الأقدار أن يلتقي بمن يساعده على الانطلاق، فقد التقى أحمد الكيتوب، وحسن الشيخ، فكانت معرفته بهما انفتاحاً على عالم الثقافة والكتب، فأنشأ في عام 1947 مكتبة خاصة باسم مكتبة الاتحاد، التي كانت ثالث مكتبة بعد المكتبة الثقافية ومكتبة الآداب في الشارقة.

أنهى الشوق حياته العملية بالعمل لدى دائرة الثقافة والإعلام بإدارة التراث، كمرجع تراثيّ يملك حصيلةً كبيرةً من المأثورات الشعبية، التي وعاها واستقاها من البيئة التي عاش فيها،

بما تضمنته من قيم وتقاليد الآباء والأجداد، وشكلت لديه في مجموعها تراثاً جمعه منذ طفولته المبكرة، وقد ازداد تأثره ووعيه بها كلما تقدمت به السن، حتى وصل إلى مرحلة النضج التي أصبح فيها قادراً على إعادة ما تمثله منها.

ولعل ما تركه الشوق من مأثورات أكبر شاهد على ذلك، حيث أكد أهمية الحكايات الشعبية، ودورها في تربية الطفل وتوسيع خياله، وتعليمه الحِكَم والعظات، وفعل الخير والمعروف.

وأكد الشوق دور المجالس كنسق اجتماعي ضروري، أسهم في تماسك المجتمع، وغرس القيم الأصيلة والعادات الحميدة المرغوبة في أبنائنا.

وروى الشوق عن دور الجدة، وشبهها بالربان الذي يقود السفينة، وقال إنها المربية والمعلمة، وهي البيت الهادئ الذي يعبق برائحة الحب والسكينة، والعلاقة الوجدانية والإنسانية الممتدة، التي غابت واختصرت الآن إلى علاقة شراب وطعام، وأوامر لا تنتهي بفعل البديلة (الخادمة). فالجدة مثال للعِبر والعظات، والعطاء والتضحية، والمشاركة في تحمل مسؤوليات الحياة.

وطالب الشوق بضرورة تعليم التراث في المدارس، وناشد المختصين في مجال التراث بأن يستفيدوا مما وصل إليه العلم من تقدم، وأن يستغلوه، في توفير أدوات تساعد على اكتشاف مواطن التراث، وحمايته من الضياع، وأن يضعوا على عاتقهم تعريف الجيل الجديد بماضيه الأصيل، ومضاعفة الجهود في جمع هذه المعلومات وتسجيلها، التي قد تفيد الباحثين والمهتمين، وتربي روح المواطنة لدى الأجيال القادمة.

وتحدث عن الأفلاج الموجودة في الإمارات، التي حفرها الأجداد بطريقة هندسية متقدمة، لتلبية احتياجاتهم من مياه الشرب وريّ المزروعات المتنوعة.

كما ذكر الأوزان المستخدمة في الماضي، وعلاقتها بالأوزان الهندية، وما يسمى قديماً «جاس الصير».

وللشوق باع في تعريف الألعاب الشعبية الإماراتية، وطريقة ممارستها، وأنظمتها وقوانينها.

وله ذكريات وأحاديث وروايات عديدة ومتنوعة عن الغوص والأجهزة القديمة، والأمثال والأغاني والأشعار التي كانت تروى في المناسبات المختلفة.

توفي الشوق في 26 سبتمبر عام 2000، وكانت وفاته إيذاناً بميلاد جديد للراوي والرواة جميعاً، والمعارف الشعبية المستقاة مما اختزنوه في صدورهم، حيث سنّت إدارة التراث في ذلك الوقت سُنّة حسنة؛ للاحتفاء بأولئك النجوم الأعلام، من خلال فعالية «يوم الراوي»، التي انطلقت أولى دوراتها في 27 سبتمبر 2001، كحدث سنوي دائم، تكريماً له ولحملة الموروث الشعبي، بمشاركات محلية وخليجية فقط.

قبل أن تتحول إلى ملتقى عالمي تحت شعار ملتقى الشارقة الدولي للراوي.

الاقتصاد في الماء وحسن تدبيره لدى العرب القدامى

د.محمد الجويلي
أكاديمي – تونس

يعاني العرب اليوم – من المحيط إلى الخليج، وبدرجات متفاوتة – شحّ الماء؛ لعوامل متعدّدة، منها الجفاف والتقلّبات المناخيّة نتيجة الاحتباس الحراري، من دون أن نهمل سوء التصرّف في استهلاك الماء وإهداره، كما في بعض بلدان المغرب العربي؛ لفقدان سياسة مائيّة ناجعة للحفاظ على الثروة المائيّة.

وإذا كان العرب اليوم قد اهتدوا إلى تحلية ماء البحر؛ للتغلّب على هذه المعضلة، مستفيدين في ذلك من التكنولوجيا الحديثة، فإنّ أسلافهم القدامى لم يعدموا الذكاء لترشيد استهلاكهم الماء، والاقتصاد في الإنفاق عليه، من هذه الطرق واحدة عرض لها الجاحظ، نعود إليها حتّى وإنْ كان صاحب كتاب «البخلاء» قد ساقها في مؤلَّفه على سبيل التندّر والتفكّه، في حديثه عن البصريين من المسجديين، الذين كانوا يجتمعون في المسجد، من الذين ينتحلون الاقتصاد في النفقة؛ لتنمية المال من أصحاب الجمع والمنع، والذين يقول فيهم إنّ هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب، والحِلف الذي يجمع على التناصر.

في إحدى حلقاتهم التي كانوا ينظمونها لتبادل خبراتهم في تصريف شؤونهم اليوميّة، ويلتقون فيها لتذاكر هذا الباب، وتطارحه وتدارسه، اندفع شيخ منهم مخبراً أصحابه بالطريقة التي اهتدى إليها؛ للتغلّب على معضلة الماء التي كان أهل البصرة جميعهم يعانونها؛ الملوحة ماء الآبار في مدينتهم وضواحيها، ولتكلفة الماء العذب الباهظة. قال: «فماء بئرنا – كما قد علمتم – ملح أجاج، لا يقربه الحمار، ولا تستسيغه الإبل، وتموت عليه النخل، والنهر منا بعيد. وفي تكلف العذب علينا مؤنة».

الطريف في الأمر أنّ من شدّة ملوحة ماء البئر أنّ حمار الشيخ، كما يقول، «قد اعتلّ عنه، وانتفض علينا من أجله، فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفاً». والأطرف من ذلك قوله «وكنت أنا والنعجة (أي زوجته) كثيراً ما نغتسل بالعذب، مخافة أن يعتري جلودنا منه مثلما اعترى جوف الحمار، فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلاً»، ما العمل إذن للاستفادة من هذا الماء العذب بعد الاغتسال به؟ يجيبنا الشيخ «انفتح لي باب من الإصلاح، فعمدت إلى ذلك المتوضأ، فجعلت في ناحية منه حفرة، وصهرجتها وملستها، حتى صارت كأنها صخرة منقورة، وصوبت إليها المسيل، فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافياً، لم يخالطه شيء، والحمار أيضاً لا تقزز له منه». يقول المثل الشعبي التونسي «الماء الذاهب إلى السدرة، الزيتونة أولى به»، والماء الذاهب إلى باطن الأرض جوف الحمار أولى به، وما علمنا كما يقول الشيخ البصري «أنّ كتاباً حرّمه، ولا سُنّة نهت عنه»!

مدن ومعالم صومالية في أراجيز ابن ماجد

لم يكن ساحل الصومال مجهولاً لدى العرب، فقد ارتبطت الصومال بالعالم العربي بعلاقات تجارية منذ آلاف السنين، وكانت الصومال تعرف آنذك ببلاد البخور والعطور عند الأمم الماضية.

عمر عبدالله إيدان
كاتب وباحث – مراود

وصف الجغرافيون العرب ساحل الصومال وبعض مدنه، وسجلوا في مذكراتهم تجارة مدن الصومال وطبيعة سكانها، في ذلك العصر كان يطلق على الصومال أسماء متعددة كأرض البنت، وبلاد البربر، ويعدّ أول من سجل في كتاباته اسم بلاد الصومال من العرب، ابن ماجد، حيث قال في أرجوزته السبعية:

وإن تكن من زنج أو سومال.. أو هند أو هرموز خذ مقالي (ارجوزه السبعية)

أولاً. التعريف بابن ماجد ومؤلفه:

1- التعريف:

هو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن عمر بن فضل، ينحدر ابن ماجد من أسرة ربابنة، فقد ورث العمل في البحر من جدّه وأبيه، وأثر ذلك في اختيار مهنته ملاحاً يركب البحار إلى آخر أيام حياته التي عاشها، وتصانيف ابن ماجد كثيرة، تجاوزت الأربعين مؤلفاً، شعراً ونثراً، ومما له أهمية خاصة أن ابن ماجد خصص نصيباً مهماً من مؤلفاته عن شرق إفريقيا[1].

كتاب ابن ماجد:

وقد خصص الأرجوزة المعربة في الخليج البربري، وهي الأرجوزة التي عربت في الخليج البربري، وصحّحت قياساته، وتتألف الأرجوزة 187 بيتاً، وقد فرغ نظمها في التاسع من محرم، عام 890 هجرية/ 1480م، وتحتوي على ما يحصل الباحث من شذرات مهمة وطريفة في القرن الإفريقي، كما يجد الباحث مدناً صومالية لم يشر ابن ماجد إليها في مؤلفاته الأخرى. وهي الأرجوزة التي بنينا محتواها في هذا المقال.

ثانياً. مدن الصومال من خلال مصنفه:

فابن ماجد لا يختلف كثيراً في تحديد مناطق بلاد بربرا (الصومال) من الجغرافيين الذين سبقوه، بل يضفي مزيداً من المعلومات ويذكر مدناً لم يتطرق إليها جغرافي من قبل، فقد ذكر مدناً عدة في أرجوزته المعربة التي عرّبت الخليج البربري، وصحّحت قياسه. كما أوردها أيضاً في كتابه الفوائد. والمدن كالآتي:

1: عيذرات Ceel-Daraad

مدينة قديمة تقع في شرق بربرة، على بعد 50 كلم، وهي قريبة من راس الخنزير، ذكرها ابن ماجد في المعربة، وقال:

عيذرات

وفي القرية الماء وتلقى بعده

راس المكور عيذرات عنده[2]

في القرن الرابع عشر كان لها ميناء صغير، وكان يصدر منه اللبان والبخور والصمغ والمواشي إلى اليمن. في القرن السادس عشر وضع حاكم زيلع بعض المدافع حماية للمدينة ودفاعاً عنها ضد البرتغاليين، إلا أن البرتغاليين لم يهتموا بمهاجمة المدينة، لعدم أهميتها بالنسبة لهم، ودمروا مدينة بربرة القريبة منها. ومدينة عيذرات لم تذكر في المصادر القديمة للجغرافيين العرب، وهي من المدن التي انفرد ابن ماجد بذكرها.

2: قرية الشيخ Ceel-Sheekh

قرية صغيرة تقع في شمال غرب هرجيسا، عاصمة أرض الصومال على ساحل البحر، على بعد 105 كيلومترات، بين مدينة بلهار ومدينة لج هايا، ومكانها مناسب للسياحة، نظراً لموقعها الممتاز، وطبيعة أراضيها الخلابة، وتسمى اليوم قرية عيل شيخ (بئر الشيخ). وقد ذكرها ابن

قرية الشيخ

ماجد في أرجوزته المعربة وكتابه الفوائد:

حيث قال:

والمس هو يا أيها الربانا

بقرية الشيخ استمع بيانا[3]

3: جبل ألمس- Buurta Almis

جبل مشهور في أرض الصومال، وهو من جبال قرية الشيخ السابق ذكرها آنفاً، ذكرها ابن ماجد في البيت السابق وقال أيضاً: «وهو جبل أسود على قرية الشيخ[4]. وتقع عليك الاعتراضة مثل الاعتراضة التي تقع على جبل المس الذي بين بربرة وزيلع»[5].

جبل ألمس

رحودة

4: رحودة - Ruguuda

قرية صغيرة في إقليم سناغ في أرض الصومال، تقع على ساحل البحر، وهي مركز لصيد الأسماك. ذكرها ابن ماجد حيث قال في المعربة:

ثم رحودة بعدهم والوادي

منهم لخنزيرة بالاسناد[6].

5: جزيرة سعدالدين: Jasiiradda Sacaadadiin

جزيرة مشهورة، ينسب إليها ملك إيفات وزيلع سعد الدين أبوالبركات محمد بن أحمد بن علي، وهي معروفة باسم جزيزة سعد الدين، فبعد معارك عنيفة بين سعد الدين ومملكة الحبشة، انهزم سعد الدين وجنده، وفرَّ بنفسه إلى جزيرة زيلع، وفي إثره الملك داود يطارده، وأخيراً حاصره في تلك الجزيرة، ومُنع عنه الماء حتى يستسلم، ورغم ذلك ظل سعد الدين يقاوم حتى دلَّهم على مخبئه أحد الخونة، فهاجمه الأحباش بغتة، وقتلوه وسيفه في يده، فمات عام 805 هـ/1402م. عندما مات سعد الدين قررت عائلة السلطان تسمية أراضي زيلع، برها وبحرها بـ«سعدالدين». قال ابن ماجد في أرجوزته تصنيف قبلة الإسلام في جميع الدنيا:

من برِّ سعد الدين والدنكل معا

جزر اليمن ثم التهايم جمْعاً[7]

وبقي اسمه في الجزيرة، حيث كان اسم الجزيرة قبل موته «خليدعة» باللغة الصومالية، ويقصد بها الأراضي الواقعة وحدها في مكان، وابن ماجد هو الذي ذكر اسمها القديم، حيث قال:

فإن خلفت الشعب ادخل بندرك

بندر زيلع قد هنيت سفرك

وخل عنك خليدعة يمينا

وقد تسمى بابن سعدالدينا[8]

جزيرة سعد الدين

6: جزيرة عيباد - Jasiirada Ceebaad

جزيرة عيبات مشهورة، وهي من جزائر زيلع، تقع على بعد 15 كم جزيرة سعد الدين من الشمال، أول من ذكر هذه الجزيرة ابن ماجد، حيث يقول ابن ماجد:

في شماليها تكن عيباد وبينهم طريق خذ صفاتي

وإلى الشمال من زيلع جزز عيبات، وبينها وبين الشعب طريق، وهي بعيدة عنك، فجار الشعب وهو إلى يسارك، أسود اللون، وبقرب بندر زيلع منه قطعتان منفردتان، فاحذرهما، وأوساخ البحر هنا سود كظل السحاب على البحر بعكس أوساخ بر العرب.[9]

7: بندر موسى Caluula

يعتقد أن بندر موسى أحد أسماء مدينة علولة القديمة التي تقع على بعد نحو 50 كيلومتراً (31 ميلاً) من غرب غردفوي، (راس عسير) في أقصى منطقة القرن الإفريقي، مدينة علولة كانت معروفة في عصور القديمة بميناء بسيغاما، التي ذكرها

سترابون[10]. في خلال منتصف القرن التاسع عشر كانت علولة عاصمة للسلطان علي يوسف الذي بنى قلعة كبيرة في المدينة، ذكرها ابن ماجد، حيث قال في أرجوزته المعربة:

وبينه وبين بندر موسى

مقدار ساعة أيا رئيسا[11]

ثم قال أيضاً في المعربة عند ذكره مجرى من بندر موسى إلى قرية فيلك في ساحل الصومال:

فإن تخلف راس بندر موسى

على نهار كان أو تغليسا

أقرب إلى البر ولا تبتعدا

حذار جرّ الما وللنجم اقصدا

لفيلك، واجر زاميـن

وربع ترح في جبل يمين[12]

بندر موسى

1- حسن صالح شهاب، أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة ـ الإمارات العربية المتحدة، ط 3، 2013، ص 19.

2- حسن صالح شهاب، البعد الجغرافي للملاحة العربية في المحيط الهندي قبل القرن السادس عشر، سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة، ط1 1994. ص 280.

3- أحمد بن ماجد شعره الملاحي (الأراجيز والقصائد) ـ تحقيق وتحليل: إبراهيم خوري ـ مركز الدراسات والوثائق ـ راس الخيمة، ط3 2010، ص 163.

4- أحمد بن ماجد، كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد والفصول ـ تحقيق وتحليل: إبراهيم خوري ـ مركز الدراسات والوثائق ـ رأس الخيمة، ط3 2010، ص 227.

5- المصدر نفسه، ص 189.

6- أحمد بن ماجد شعره الملاحي (الأراجيز والقصائد) – تحقيق وتحليل: إبراهيم خوري ـ مركز الدراسات والوثائق ـ رأس الخيمة، ط3 2010، ص 163.

7- أحمد بن ماجد شعره الملاحي (الأراجيز والقصائد) – تحقيق وتحليل – إبراهيم خوري ـ مركز الدراسات والوثائق ـ راس الخيمة، ط3 2010، ص 90.

8- حسن صالح شهاب، البعد الجغرافي للملاحة العربية في المحيط الهندي قبل القرن السادس عشر، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ط1 1994. ص 286.

9- حسن صالح شهاب، البعد الجغرافي للملاحة العربية في المحيط الهندي قبل القرن السادس عشر، سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة، ط1 1994. ص 285.

10- إسترابون، الجغرافيا ـ ترجمة: د. حسان مخائيل إسحاق، ط1 2017، دار علاء الدين، سوريا، دمشق.

11- أحمد بن ماجد شعره الملاحي (الأراجيز والقصائد) – تحقيق وتحليل: إبراهيم خوري ـ مركز الدراسات والوثائق ـ راس الخيمة، ط3 2010، ص 157.

12- المصدر السابق نفسه، ص 158.

الترجمة في الحضارة العربية الإسلامية

إن حركة النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية كانت وستظل نبراساً ثقافياً وفكرياً وأدبياً وإنسانياً خالداً على مرّ العصور والأجيال في تاريخ البشرية، ذلك أن الحضارة العربية والإسلامية قد استفادت كثيراً في ذروة مجدها من حركة النقل والترجمة.

راشد سعيد مبارك
كاتب – الإمارات

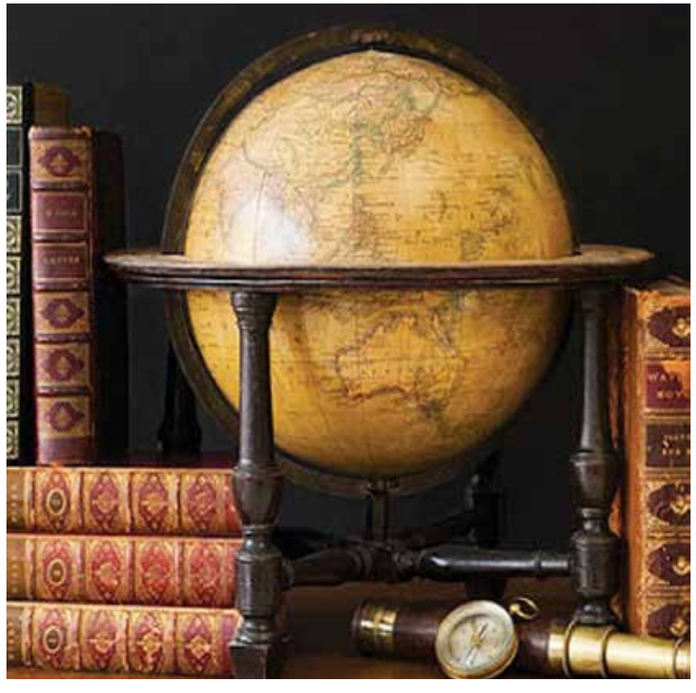

لإثراء ذلك الحراك الثقافي والفكري الذي لم يسبق للبشرية أن عاشته قبل ذلك، وإن بواكير حركة النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية كانت قد بدأت بدايتها المتواضعة والبسيطة في العصر الأموي، على يد الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية، الذي توفي عام 85 هجرية، والذي كان أول عالم عربي مسلم متخصص في علم الكيمياء، حيث كان قد اطلع على كثير من كتب ومؤلفات الأمم الأخرى من الإغريق في الفلسفة والكيمياء والطب، واستطاع أن ينقل ويترجم الكثير من هذه الكتب والمؤلفات من

لغاتها الأجنبية الى اللغة العربية، حيث كان هذا أول نقل وترجمة في تاريخ الحضارة الإسلامية، ذلك أن هذا الأمير الأموي قد تتلمذ على يد الراهب الرومي مريانوس، وتعلّم منه صنعة الطب والكيمياء، ثم كانت له ثلاث رسائل، هي:

1- السرّ البديع في فك الرمز المنيع.

2- فردوس الحكمة في علم الكيمياء.

3- مقالتا مريانوس الراهب.

إلّا هذه الحركة لم تصل إلى ذروة عزّها ومجدها وازدهارها إلّا في العصر العباسي، حيث يُعدّ هذا العصروبحق أبهى وأروع العصور في تاريخ حركة النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ذلك أن الخلفاء العباسيين قد شجعوا واهتموا ورعوا ودعموا حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية، كالفارسية والبيزنطية والقبطية واليونانية والآرامية إلى اللغة العربية والعكس أيضاً لكثير من الكتب والمؤلفات في الفلسفة والطب والموسيقى والتاريخ والجغرافيا والكثير الكثير في شتى العلوم والمعارف الإنسانية، حيث كانت بغداد في ذلك العصر قِبلة العلم والثقافة والفكر والأدب وحاضرتها، وكان الخلفاء العباسيون يجزلون العطاء لكثير من العلماء والمترجمين ويشجّعونهم، ويعدّ أبوجعفر المنصور المؤسس الحقيقي في العصر العباسي لحركة النقل والترجمة، حيث كان الأديب والكاتب عبدالله بن المقفع من أشهر الناقلين في عصر الخليفة المنصور، وهو الذي نقل إلى العربية من الفارسية كثيراً من كتب علماء فارس القدماء، في الطب والمنطق وغيرهما من العلوم والآداب. ومن أبرز المترجمين في العصر العباسي، نذكر منهم: -1 يحيى بن عدي. -2 قسطا بن لوقا، وغيرهما كثر، حيث كان للنقل والترجمة طريقتان هما الطريقة اللفظية، وهذه طريقة يوحنا بن البطريق، والطريقة المعنوية أو الأسلوب الجملي، وهي طريقة حنين بن إسحاق.

لقد سهّلت عملية النقل والترجمة على العرب والمسلمين كثيراً، ذلك أنهم لم يكونوا يعرفون لغات أجنبية من قبل، وأتيحت لهم فرصة باكرة مكنتهم من تأدية رسالتهم في تطوير العلوم والفنون والآداب والثقافة والفكر الإنساني، حيث أثريت اللغة العربية بدخول كثير من المصطلحات والتعابير العلمية والفلسفية، والتراكيب الفنية، وتحولت في فترة زمنية قصيرة من لغة قبلية محلية بسيطة إلى لغة عالمية واسعة الانتشار، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على قدرة اللغة العربية على مجاراة الحركة العلمية، كما جارت الحركة الأدبية والدينية والاجتماعية، وما بعد الحداثة في القرن الحادي والعشرين.

حقاً لقد كانت حركة النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية شعلة فكرية وأدبية وثقافية مضيئة وملهمة للأجيال العربية والإسلامية في ذلك الماضي الزاهر، وللإنسانية جمعاء، ونسال الله، سبحانه وتعالى، أن يرفع من شأن الأمة العربية والإسلامية؛ لتسهم مع شعوب الأرض قاطبة في صنع غد مشرق، إنه نعم المولى، ونعم النصير.

تناقل الناس أوصاف لونجا، التي جمعت كل الصفات المحببة، من صفاء البشرة، وجمال المبسم، وطول الشعر.. وغيرها؛ لذلك عشقها الشبان قبل أن يروها، واستحوذت على تفكير كثير منهم، وشُدَّت الرحال إليها في محاولة للظفر بها، وانتزاعها من يدي والدها وإخوانها السبعة، لكن كان الهلاك نصيب كل من يقترب منها.

كان لسلطان مملكة العجائب ولد وحيد اسمه أحمد، سمع هو الآخر عن لونجا، فأخذت بمجامع قلبه، وبات حبه لها ينمو كشجرة مدّت جذورها بعيداً في التربة، فصعب اقتلاعها، وذات يوم كشف أحمد لوالده عن رغبته في الخروج للسفر؛ لأجل الظفر بـ«لونجا».

فزع الوالدان على ابنهما أحمد، وحاولا ثنيه عمّا يفكر فيه، وقالت له والدته:

ــ أمامك كل عذارى المملكة، فاختر

منهن من شئت، ولا تلقي بنفسك للتهلكة.

لكن هيهات، فأحمد لم يكن يستمع سوى لصوت قلبه، وخرج متجهاً إلى حيث تسكن لونجا، وكلما بعد عن المكان كانت الوحشة تسود، فتجعل حتى قلوب الفرسان الشجعان يسودها الوجل، لما انتشر من عظام وبقايا من حاولوا قبله الوصول إلى لونجا.

بعد مدة ازداد المكان وحشة وغرابة، ووجد أحمد نفسه في ممر، وقد صفّت حوله رؤوس وجماجم العشاق المهزومين، لتثني أي شجاع سوّلت له نفسه أخذ لونجا من بين أهلها.

ورغم أهوال ما رأى، فقد أصر على الذهاب إلى نهاية المطاف، وبينما هو كذلك حانت منه لفتة، فرأى لونجا عند الغدير تغتسل، وقد انسدل شعرها الفاحم، فبدت كأنها البدر.

وقف أحمد يتأمل لونجا، مذهولاً بجمالها، وأحسّت هي بوجود من يراقبها، فرفعت بصرها، لتجد أحمد قد تسمّر في مكانه، ولم يُحِرْ جواباً.

ابتسمت له لونجا، وقد أعجبها منظر الفتى، لما امتاز به من صفات، وخمّنت في غرضه، فقالت له:

ــ إني أَظن بك على الموت يا هذا، ولذا عليك أن تتبع ما أقوله لك حتى تنجو من أيدي والدي وإخوتي.

أخفت لونجا الجواد في الغابة، وأتت بأحمد إلى البيت، حيث أخفته هو الآخر، وقالت له:

ــ ابق مكانك، ولا تخرج منه إلا عندما يوضع العشاء؛ لأن ساعتها نطفئ الشموع، فحاول الخروج بسرعة وخذ ملعقة، عندها سيشتكي أحدنا بعدم وجود ملاعق كافية، وسيتطلب الأمر وضع الملاعق لإعادة عدّها، فضع ملعقتك بسرعة، وكن أول واحد يأخذ الملعقة عندما يطلب منا ذلك.

في المساء عاد الجميع إلى البيت، وقامت الأم بتحضير الطعام، ووضعت الخوان، وأطفأت الشموع، فخرج أحمد من مخبئه، وحدث كل ما قالت له لونجا.

ارتاب الغول في الأمر، وقال:

ـ أنت يا من دخلت بيتنا، أعْرب عن نفسك.. أأنسي أم جنّي؟ ولك منّا الأمان.

هنا أشعلت الشموع، وأعرب أحمد عن نفسه، وقال لهم:

ــ أنا ابن السلطان، وقد أضعت طريقي.

اطمأنت عائلة الغول لرواية أحمد، وفي الصباح غادر الجميع إلى أعمالهم، وذهبت الأم إلى العين لتجلب الماء، وبقي أحمد مع لونجا، فصرح لها بسبب قدومه، ودعاها لتكون زوجته وملكة القصر، فلم تتردد في قبول عرض الزواج، وامتطيا الجواد وانطلقا مُسْرِعيْن إلى مملكة السلطان.

مرَّ الاثنان بالعين، حيث كانت الأم تجلب الماء، فرأت ابنتها، فأسرعت إلى حيث يوجد زوجها وأبناؤها، وأخبرتهم بالأمر، فانطلقوا جميعاً في سباق محموم لوقف المعتدي، وقتله، وتزيين ممر بيتهم برأسه، لكن جواد أحمد كان من أحسن الجياد، وكأنه يطير بجناحين.

وعندما عجز الغول عن اللحاق بهما، قال مخاطباً لونجا:

ــ يا بنتي، اسمعي مني هذه النصائح، ما دمت ذاهبة بغير

رجعة، إذا مررت بوادٍ من ماس أو من ذهب أو فضّة، فلا تشربي منه، وإذا لقيت زوجين من الحيوان أو الطير يقتتلان، فلا تفرقي بينهما، وإلا سيختطفك «خاطف العرائس».

وغاب صوت الغول، ومضى أحمد ولونجا في طريقهما، حتى وصلا إلى العين الماسية، ثم الذهبية فالفضية، وظلا ممتنعين عن الشرب، رغم العطش، ثم ما لبثا أن وجدا وحوشاً تتقاتل فلم يقتربا منها، وعندما أصبحا على مشارف المدينة، رأيا يمامتين تتقاتلان بشراسة، وقد مزقتا جلد بعضهما، وأمام هذا المنظر لم يستطع أحمد التحمل، وكان قد أمن الطريق، ونسي نصيحة الغول، ونزل ليفرق بين اليمامتين. فجأة أظلمت السماء، وحُجب نور الشمس بظهور صقر عملاق، اختطف أحمد وطار به بعيداً، وتبعته عينا لونجا حتى فاضتا بالدمع الغزير.

طار الصقر وحطّ على قمة جبل، ولم تعرف لونجا ماذا تفعل.

بعد البكاء والنحيب، دخلت المدينة، واستبدلت الحصان بثياب

ـ كيف أنت في قصر والدي يا لونجا ؟

ـ في أسوأ حال.. ردت قائلة.

في هذا الوقت كان المؤذن يسمع حوارهما، فسارع إلى السلطان يخبره أن ابنه حيّاً، وهو سجين الصقر .

لجأ السلطان إلى الحكيم ليرشده لما يجب فعله، فقال له الحكيم:

ـ تذبح للصقر بقرة سمينة، وتضعها عند سفح الجبل، وتناشده أن يعيد ابنك، وسيسألك: كيف تريدني أن أعيده؟ هل بعد كسر عظامه، أو بعد تصفيّة دمه؟ فقل له بعد تصفية دمه، وسيتبقى به رمق للحياة، وسيعالج ويشفى.

فكان للصقر ما أراد، وعاد أحمد مريضاً، وقامت والدته برعايته، وبعد أن فتح عينيه سأل عن لونجا، فقال له والده:

ـ لا يوجد أحد هنا.. لم ينضم إلى القصر إلا خادمة سوداء.

فقال أحمد:

ـ أحضروها إلى هنا.

احْضِرت الخادمة، وطلب منها أحمد ذكر اسمها، واسم والدها، فأحجمت عن الإجابة، فأمسك بيدها يرجوها الكلام، فتملّصت منه بصعوبة، تاركة سواد الفحم في يده، كاشفة عن بياض في ذراعها. وهكذا عرف أنها لونجا، فأقيمت الأفراح، وعاشاً معا حياة سعيدة.

خادمة، وطلت جسمها بالفحم، محاولة قدر المستطاع إخفاء هويتها وجمالها، وذهبت إلى بيت السلطان لتصبح خادمة هناك.

كانت عندما تنتهي من عملها، تصعد إلى السطح، فتبدو لها قمة الجبل، حيث يوجد أحمد، وعندما يحل الظلام تنزل من السطح، وذات يوم بينما هي كذلك، سمعت صوت أحمد يسألها :

الحجر الصحي الكورنتينة

«جدة قراءة تاريخية»

أ.د. حياة بنت مناور الرشيدي
متخصصة في التاريخ – السعودية

يتناول هذا المقال موضوع الحجر الصحي ومفهومه، ويسلّط الضوء على مدينة جدة كنموذج وكموقع شهد الكثير من انتشار الأوبئة، وكيفية التعامل معها.

تقديم:

ظلّت المدن الساحلية منذ القرون القديمة الأكثر عرضة للأوبئة وانتشار العدوى، بسبب اتصالها المباشر مع العالم، عن طريق وسيلة السفر الدولية الوحيدة في ذلك الوقت (السفن)، حيث ترسو في موانئها وتحمل المسافرين، وهي نقطة الضعف الأولى، وسبب العدوى الرئيس في أي وباء مرَّ على البشرية، فعمد كثيرٌ من هذه الدول منذ قرون، إلى منع السفن من الرسو على سواحلها، قبل أن تقضي 40 يوماً معلقةً أمام الموانئ، للتأكد من خلو ركّابها من الأمراض المعدية، التي لابدّ أن تظهر أعراضها عليهم قبل انقضاء هذه الفترة.

ومع مرور الوقت أصبحت الطريقة غير عملية، خصوصاً أنّ كثيراً من هذه السفن تحمل على ظهرها تجاراً، وبضائع غير قابلة للانتظار والتأخير، وبحاجة إلى تعامل خاص، فعمدت هذه الدول إلى تأسيس «المحاجر الصحية».

المحجر الصحي (الكرنتينة أو الكورنتينة)

هو: مكان يُعزل فيه أشخاص، أو حيوانات، قد تحمل خطر العدوى. وتتوقف مدة الحجر الصحي على الوقت الضروري لتوفير الحماية، في مواجهة خطر انتشار أمراض بعينها.

ظهرت المحاجر الصحية في فرنسا للمرة الأولى، وحملت اسم Quarantaine، واشتق الفرنسيون

اللفظ من كلمة Quarante التي تعني (أربعين) باللغة الفرنسية، وهي المدة التي كان يقضيها المحجور داخل الحجر للتأكد من سلامته.

لينتقل النموذج إلى أوروبا، وسُمّي في بريطانيا Quarantine، وبإسبانيا Cuarentena، وفي العربية كان قريباً من اللفظ الإسباني «الكرنتينا».

ومع تطوّر النموذج وتحوّل هذه المناطق المعزولة إلى أحياء سكنية، وتحوّل نشاط الحجر إلى مستشفيات مغلقة داخل هذه الأحياء، اختفت هذه الأحياء في العالم العربي، بحكم عامل الزمن، وتقلَّدت أسماء جديدة.

ويشير الحجر الصحي في سياق الرعاية الصحية إلى مختلف الإجراءات الطبية المتبعة لإحباط انتشار العدوى التي قد تنتشر بالمستشفيات، حيث توجد صور مختلفة للحجر الصحي، ويتم تطبيقها اعتماداً على نمط العدوى والعوامل المتضمنة في انتشارها، وذلك بهدف مواجهة التشابه في عملية الانتشار، عبر الجسيمات الهوائية أو القطرات، أو من خلال الاتصال عن طريق الجلد، أو من خلال الاتصال عن طريق سوائل الجسم، والأسباب متعددة ومتنوعة.

تعتمد مدينة جدة على تراثها الشعبي في معالجة الأعراض المرضية التي تظهر كعارض صحي على قاطنيها، وقد انتشرت دكاكين العطارة لبيع الأعشاب الطبية إلى الأهالي، ولكن أهمية ميناء جدة كمحطة بحرية تجارية، ولاستقبال الحجاج القادمين إليها لأداء مناسك الحج أو العمرة، ضاعف أهميتها والاهتمام بها كمركز ووجهة لها دورها في استقبال كثير من الأعداد والجنسيات المتعددة، إضافة إلى قاطنيها، وكيف يمكن أن تُدار أي أزمة صحية يمكن أن تواجهها.

«كرنتينا جدة»... من الجُزر إلى المستشفى

رغم أنّ السلطات في مدينة جدة عملت على تغيير اسم حي الكرنتينا إلى «المحجر» في فترة الحكم السعودي، فإن الأهالي في المدينة الساحلية استمروا في استخدام الاسم السابق، فصار دارجاً استخدام

مسمّى «الكرنتينا» بدلاً من «المحجر».

ولا تختلف أسباب التسمية في جدة عن مثيلاتها في الدول الأخرى، إلا أن حاجة جدة إلى الحجر الصحي كانت مُلحّة، كونها تقع على طريق الحج البري والبحري، ما جعلها عرضة لمعظم الأوبئة التي مرَّت على البشرية في القرون الماضية، مثل الكوليرا والحمّى الصفراء والسُّل والملاريا وغيرها.

وكان الحجاج المصابون في السابق يحصلون على خدمة الحجر الصحي بمقر بجوار ميناء جدة، حتى نُقِل في فترة الحكم السعودي إلى ما يُعرف اليوم بحي «الكرنتينا» جنوبي جدة في عام 1965م، بعد أن حوَّلته إلى مستشفى خاص بالأوبئة لايزال يعمل حتى اليوم.

تطوّر المحجر الصحي في جدة حتى وصوله إلى حي الكرنتينا الحالي «كان الحجرُ الصحيّ السابق في فترة الحكم العثماني بجوار الميناء، بحيث يُنقل المصابون إلى جزيرتين معزولتين وسط البحر، تُدعيان (سعد والواسطة)»، اللتين صارتا اليوم داخل نطاق القاعدة البحرية الخاصة بالقطاع الغربي للقوات المسلحة السعودية.

وكان العثمانيون يطلقون على الجزيرتين اللتين حُوِّلتا إلى محجر صحي للمرضى «كرنتينا خانة»، ولقد عانى إهمالاً شديداً رغم خطورة المكان وأهميته، قبل أن يُنقَل في منتصف القرن الماضي إلى حي المحجر (الكرنتينا) أقصى جنوب مدينة جدة، عقب بناء مستشفى الملك عبدالعزيز، الذي كان منطقة مقفرة وبعيدة عن النطاق السكاني، وقبل أن يتحوّل إلى أكثر مناطق جدة اكتظاظاً، بعد أن غدت منطقة ذات غالبية إفريقية، يسكنها المهاجرون غير الشرعيين.

وكانت مهمة هذا المستشفى في وقت تأسيسه، هي التأكد من سلامة الحجاج من الأمراض المعدية فور وصولهم، وحجر المصابين منهم، والتأكد من خلوهم منها بعد أداء مناسك الحج، وتقديم تقارير إلى حكوماتهم عن مدى سلامة النسك من الأوبئة، حتى لا يتعرضوا للحجر فور وصولهم إلى بلدانهم.

حي الكرنتينا في جدة و«covid 19»

بعد 70 عاماً من إقامته محجراً صحياً، يعود حي «الكرنتينا» في مدينة جدة ليكون معزولاً لأهداف وقائية، إلى جانب أحياء أخرى يوجد فيها أكثر من 200 ألف نسمة من مختلف الجنسيات والأعراق.

وشمل العزل الكرنتينا التي تعود إلى دورها الأول باسمها الجديد «المحجر»، والذي تم تغييره من قبل الحكومة السعودية، ويشمل أيضاً ضمن نطاقه حي «بترومين» الذي جاءت تسميته نظراً لوجود المصفاة الشهيرة. ويعود «المحجر» اليوم حاملاً معه مسؤوليته الأولى كحجر طبي منذ الخمسينيات، وقد تم إنشاؤه لعزل الحجاج القادمين عبر ميناء جدة.

ويقع حي كيلو14، وهو من أكبر أحياء العزل جنوب جدة، وكيلو13 على طريق مكة – جدة القديم، واشتق الاسم من كون الطريق يبعد هذه المسافة عن جدة، وأصبح مع مرور الوقت مدينة متكاملة الخدمات، ودخل ضمن منع التجول حي «غُليل»، وهو من أقدم الأحياء الشعبية، والذي يسكنه أكثر من 60 ألف نسمة.

المملكة العربية السعودية واستباق انتشار الوباء في 2020

إجراءات «كورونا» المستجد ليست وليدة اللحظة، ولكن المملكة عرفت هذه الإجراءات منذ الخمسينيات، عند وضع لبنة أحد أهم «الكرنتينات» على ساحل البحر الأحمر وميناء جدة، الذي كان يستقبل الحجاج القادمين بالسفن.

لقد ارتبط تطور الخدمات الصحية في المملكة في عهد الملك عبدالعزيز بالحج الذي كان له الأثر الكبير في تطوّر الأوضاع الصحية، بسبب وفود أعداد كبيرة من المسلمين من مختلف أنحاء العالم، واجتماعهم في المشاعر المقدسة. وامتدت جهود ملوك المملكة العربية السعودية عاماً بعد عام، ولم تشهد مواسم الحج انتشار أوبئة كالسابق، وفي حج هذا العام (1441هـ/ 2020م)، شهد إجراءات استثنائية وتدابير استباقية لمنع انتشار «وباء كورونا»، وحرصاً

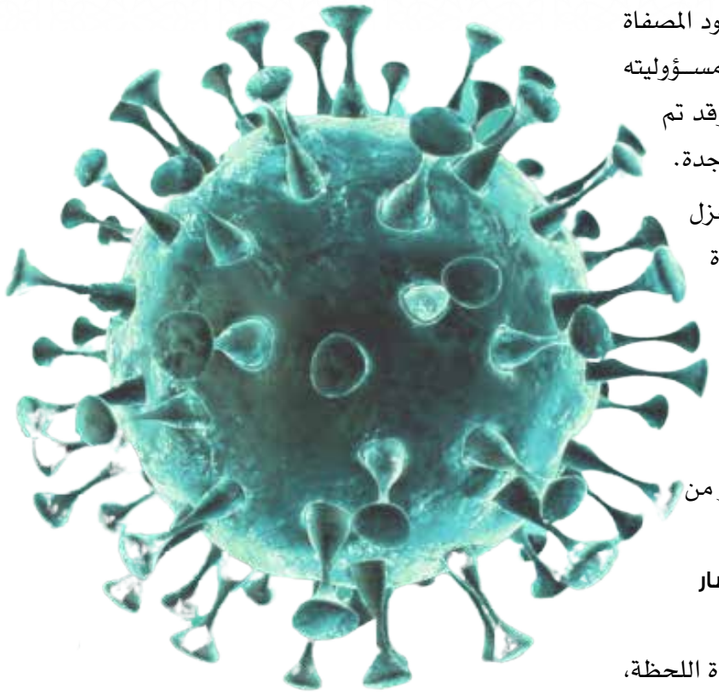

على سلامة المواطن والمقيم تم إعداد مشفى الملك عبدالعزيز (مستشفى المحجر قديماً، وأصبح لاحقاً مستشفى الملك عبدالعزيز) بجدة بحي المحجر الصحي لمواجهة الجائحة التاريخية.

سالفة وفايدة

عبدالله خلفان الهامور
كاتب وباحث تراثي - الإمارات

«حدّثني أحد الأخوة، قبل فترة، عن قصة أحد الأشخاص، الذين عُرف عنهم الكرم والطيبة، وأن هذا الرجل كان يضرب بعض ضيوفه إذا قدموا عليه، وقد انتشر هذا الخبر وهذا التصرف عنه بين الناس، فكانوا بين مستغرب، وغير مصدق هذا التصرف، ولقطع الشك باليقين، بادر أحد الأشخاص، وذلك ليتأكد بنفسه من هذا الأمر، فعزم الأمر على أن يذهب إلى هذا الرجل، ويحلّ عليه ضيفاً، وفعلاً حلّ ضيفاً عليه، فما كان منه إلّا أن أكرمه، وقدّم إليه ما يُقدّم إلى الضيوف، وأخذ منه العلوم والأخبار، وكل الأمور تسير على ما يرام من إكرام الضيف، ولكن هذا الضيف يداخله العجب والاستغراب من تصرفات هذا الرجل، فما سمعه عنه خلاف ما رأى بعينيه، فلما تأكد بنفسه أراد الاستئذان، فأمر صاحب البيت بالبخور والطيب لضيفه، فتبخّر وتطيّب، وعندما أراد الخروج من الباب، قال لصاحب البيت: أرجو أن تعذرني، فإنني أريد أن أسألك سؤالاً، فقال: تفضل. فقال الضيف: سمعت عنك أنك تضرب ضيوفك إذا أقبلوا عليك، وما وجدته ورأيته مخالف لما سمعت عنك! فهل ما سمعته صحيح؟ فقال الرجل: نعم، صحيح! ولكن ليس للضيوف الذين هم من أمثالك! فقال الضيف: وكيف تفسّر لي تصرفك مع أولئك الضيوف؟ فقال الرجل: إن الضيوف الذين تتكلم عنهم ليسوا بضيوف، ولكنهم أشخاص لا يعرفون الأدب، ولا العادات ولا التقاليد.. هؤلاء الأشخاص يحضرون في أوقات غير مناسبة، مثل أوقات النوم، أو في أوقات متأخرة من الليل، ويجلسون في مكان غير الذي طلبت منهم الجلوس فيه، ويجلسون لساعات متأخرة بعد تقديم البخور والعود لهم،

لهذه الأسباب كنت أعاملهم بهذه الطريقة، أما أنت فقد أتيت في وقت مناسب، ودخلت، وجلست في المكان الذي أشرتُ إليك بالجلوس فيه، واستأذنت بعد البخور والعود، فتصرفاتك كانت توافق العادات والتقاليد؛ لذلك عاملتك كضيف عزيز يستحق الضيافة».

انتهت السالفة، وبغض النظر عن حقيقة القصة، أو أنها قصة رمزية أخذت من أدب التراث، أو غير ذلك، فالذي وجدته في هذه القصة أنها تحمل بين طياتها الشيء الكثير من الأدب، الذي على المرء أن يتحلّى به، وقد غفل عنه بعضهم في هذا الزمان، وكأن هذا الرجل الحكيم أراد أن يوصل لنا رسالة ومعاني لابد أن نتحلّى بها، وتكون من أخلاقنا وثقافتنا عندما نحل ضيوفاً عند غيرنا، فإن اختيار الوقت من أهم الأمور التي لابد أن يعرفها الرجل، فالوقت المناسب هو بداية ضيافة صحيحة، تسبقها دعوة من المضيف إذا كانت المناسبة مقصودة، وهناك حضور، وأما إذا كان الضيف حضر من دون دعوة فعليه أن يختار الوقت المناسب، وأن يعتذر إذا قَدِم في وقت غير مناسب، وأن يتحلّى بالمعاني والآداب المتعارف عليها في مثل هذه المواقف؛ وذلك حتى يعلم المضيف أخلاق ضيفه ومعانيه، ويتخذ له الأعذار إذا حضر في وقت غير مناسب، كذلك من العادات أن يجلس الضيف في المكان الذي أراده المضيف أن يجلس فيه؛ أي لا يخالف الضيف طلب صاحب المجلس في اختياره المكان الذي على الضيف أن يجلس فيه، لعل ذلك كان لغاية في نفس المضيف لا يعلمها الضيف، وقد تتضح له فيما بعد، كذلك على الضيف أن يستأذن بعد تقديم البخور والعود له، وذلك امتثالاً للمثل الشعبي «ما بعد العود قعود»؛ أي إذا قُدّم العود والبخور فهذا إيذان لاستئذان الضيوف، كذلك من المعاني التي حوتها هذه القصة، المكوث عند المضيف لساعات متأخرة من الليل، وهذا مناف للعادات والتقاليد، فعلى الضيف أن يكون فطناً، وعليه أن يعرف متى يستأذن، ولا يطيل الجلوس لساعات متأخرة.

قد تكون هذه القصة رمزية، ولكننا نأخذ العبرة من مثل هذه القصص، ونستفيد من حكمة كبار السن، ونسير على خُطاهم في العادات والتقاليد، ونتمسك بالجميل منها، ونحافظ عليه، ونعلّم أولادنا هذه المعاني والآداب، ومن وجهة نظري فإن أمر الضرب الذي تم ذكره في هذه القصة هو ضرب معنوي، يعبّر عن عدم الاهتمام بهؤلاء الضيوف، أو عدم استقبالهم استقبالاً يليق بالضيف المعتبر، فعدم الاهتمام، وبرودة الاستقبال للرجال لهو أشد من الضرب بالسيوف، والألم المعنوي الذي يتركه في النفس أشد وأقوى من الأثر المادي لو قام بضربهم فعلاً.

بقي أن نقول إنه ليس كل من أقبل علينا ودخل مجالسنا عدّ ضيفاً، فالضيوف أنواع؛ ضيف عرف معاني الرجال والآداب والعادات والتقاليد، فمثل هذا له كل احترام وتقدير وتوجيب، والنوع الآخر من الضيوف ضيف لا يعرف السنع ولا السنة، ويسوقه الفضول لدخول المجالس، فمثل هذا تنفع معه طريقة هذا الرجل الذي تحدثنا عنه في هذه السالفة.

طقوس الاحتفال بالمواليد في التراث الإماراتي

سعاد الكلباني – مراود

عندما يكون هناك مولود جديد، فهذا يعني أنه سيكون هناك حفل استقبال لذلك المولود، ويتضمن هذا الاحتفال الطقوس والتقاليد في الثقافات التي تخص كل بلد، كما أن العائلات من مختلف أنحاء العالم لها طقوس خاصة وفريدة بقدوم المولود بعض تلك الطقوس تعود إلى مئات السنين، ولا يعرف أحد بالتحديد كيفية نشأتها، ولكنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من ثقافات الشعوب.

الأسرة الإماراتية قديماً لها كذلك لها احتفال خاص كغيرها من الشعوب، حيث تعتبر قدوم المولود الجديد من أهم مظاهر السعادة والحبور في بيوت تجد أن كثرة الأبناء «عزوة» وسند للأب والأم، حيث إن البنات يولدن لبركة البيت، والأولاد لشد ظهر الأبوين عند تقدم العمر.

وعندما يولد المولود ويصرخ صرخته الأولى للحياة، تتوالى عبارات التبريكات على الوالدين، حيث يقف الأب ليؤذن في أذن المولود اليمنى، ويقيم الصلاة في الأذن اليسرى، عملاً بسنّة نبينا الكريم.

وفي فترة الأربعين، وهي فترة النفاس التي تقضيها المرأة حديثة الولادة في بيت أمها، تمنع من حضور الأعراس أو زيارة السيدات حديثات الزواج، أو الذهاب إلى أي عزاء، وكذلك تمنع أي امرأة قادمة من عزاء أو متزينة لعرس من الدخول إليها قبل أن تغتسل وتزيل زينتها أو ملابس العزاء، خوفاً من حدوث ما يعرف بـ«المشاهرة»، وهو مفهوم تقليدي يعتقد أن المرأة التي أنجبت ستصاب بحمى شديدة، قد توصلها إلى العقم أو الموت، أو أن المولود سيموت، أو أي ضرر آخر قد يصيبه، وعلى الرغم من أن هذه المعتقدات لا تجد ما يؤكدها، إلا إنها مازالت تتوارث في معظم العائلات والأسر الإماراتية.

وفي فترة النفاس كذلك تعطى الأم أطباقاً ذات قيمة غذائية عالية، لتقويتها عند إرهاق الحمل والولادة، ويقوم الجيران بتبادل إرسال الأطعمة الدسمة للأم، ويعدون لها العديد من المشروبات والأكلات الدسمة الخاصة بهذه الفترة، وعلى رأسها «الحريروة»، وهي أشبه بالحساء المعد بالحليب والحبة الحمراء، يضاف لها بعض التوابل، وخبز الرقاق المهروس بالحليب الساخن والسمن المحلي، وكذلك اللحم يكون من الضأن الصغير.

ومن عادات الولادة أيضاً الخوف من الحسد، وهذا ما يجعل الكثير من السيدات يخفين جنس المولود إلا عن المقربين، ومنهن من يتعمدن إبقاءه أصلع حتى بعد أن تنتهي العقيقة لأشهر عدة، أو يخفى عن الأعين بالتظاهر بأنه نائم دوماً إلى أن يكبر، خاصة إن كان مولوداً جميلاً.

و«العقيقة» هي الذبيحة التي تذبح عن المولود في اليوم السابع، وهي سنّة مؤكدة في الإسلام، وتكون شكراً لله على المولود، ذكَراً كان أو أنثى، شاتان مكافئتان عن الغلام، وشاة واحدة عن الأنثى، وقد كانت العقيقة معروفة عند العرب في الجاهلية.

يوضع المولود في سرير منخفض وقريب من الأرض يسمى المنز، بحيث يسهل على الأم وضع الطفل وحمله من دون أن تضطر إلى الوقوف، ويمكن هزة

وتحريكه، و«المنز» سرير خشبي مصنوع من جريد النخل وأعواده، وحتى الحبال مشتقة من النخيل، نسبة لتوافرها جميعاً ضمن مواد البيئة المحلية، وتكلفتها المتواضعة، وسهولة إعدادها، ويغطى بطبقات عدة من القماش لمنع التيارات الهوائية والحشرات من الدخول إليه وهو نائم. ومن أهم ما يوضع في المنز وسادة دائرية من القماش القطني الجديد، تصنعها الأم وتكون مفرغة الوسط، وأشبه بالعقال، توضع تحت رأس الطفل وهو مستلق على ظهره، لحماية عظام رأسه اللينة في الشهور الأولى حتى يتشكل الرأس.

القماط أو المهاد وهو قطعة مستطيلة من القماش، يلف بها الطفل ليبدو كالشرنقة، ويتعمد بعضهم شدها حول جسد الطفل لتستقيم عظامه وتقوى مفاصلة،

ومع أن كثرة الشد تؤذي عظامه، إلا إنها عادات كانت موجودة ولاتزال بعض الأمهات تقوم بذلك.

كذلك من أبرز مظاهر الاحتفال بالمولود إذا كان أنثى خرم أو ثقب أذنيها، تعبيراً عن فرح الأم والأهل بها؛ لأن البنت تعني سابقاً المساعدة للأم في كل شيء، وهي يدها اليمنى في البيت، وفأل خير للبيت، كذلك يستخدم الكحل، كونه يوسع العينين وبالوقت نفسه يقوي الرموش، ويجعلها أكثر كثافة، ويجب أن يكون الكحل بالصراي، وليس بالإثمدة أو بالقلم.

وجميع تلك الاحتفالات بالمولود الجديد تحكمها عاداتنا وتقاليدنا التي تم توارثها عبر الأجيال، والتي يسعى كل جيل إلى تعليمها للأجيال القادمة، فيما يتم إدخال العديد من الأمورعلى تلك العادات تبعاً للتغيرات الثقافية، وبعض الأمور اندثرت في احتفالياتنا بالمولود، وربما نستعين في الاحتفال بأسلوب جديد أفرزته الحضارة والمدنية، ولكن تبقى السمة الأصلية راسخة داخلها.

جوهر الثقافة الصينية – أوبرا بكين

فاتن (زهو لينغ)، عائشة (بان جيايي)، سراج (باو لينهوي)

إن الصين تتمتع بالتاريخ العريق، والثقافة الباهرة لخمسة آلاف سنة، والتي تشكل للناس بحق الإرث والتجربة، هي الثقافات التي لم تتلاشَ مع مرور الزمن، فأوبرا بكين هي واحدة منها، باعتبارها تراثاً ثقافياً غير مادي عالمي.

إن الصين تتمتع بالتاريخ العريق، والثقافة الباهرة لخمسة آلاف سنة، والتي تشكل للناس بحق الإرث والتجربة، هي الثقافات التي لم تتلاشَ مع مرور الزمن، فأوبرا بكين هي واحدة منها، باعتبارها تراثاً ثقافياً غير مادي عالمي.

إن أوبرا بكين واحدة من المسرحيات والأوبريتات الخمس الصينية الرئيسة، حيث تمتاز بألحانها الرئيسة المسماة شبي وأرهوانغ، بمرافقة الآلات الموسيقية التقليدية الصينية، ألا وهي العود الصيني والصنوج والطبول، وهي تحتل المكانة الأولى في قائمة الأوبريتات الشعبية الصينية، على أساس أنها جوهر الثقافة الصينية.

إن أوبرا هوي كانت هي أوبرا بكين السابقة. يقال إنها قد بدأت تدخل بكينَ فرقُ أوبرا هوي الأربعة: سانكينغ وسيكسي وتشونتاي وهتشون التي كانت تقوم بالأداء في المناطق الجنوبية أصلاً، واحدةً تلو الأخرى، من عام 1790، أي في العام الخامس والخمسين من عصر أسرة تشينغ الإمبراطورية تشيان لونغ، وقاموا بالتعاون مع الفنانين في أوبرا هانديا‌و من هوبي، كما قاموا بقبول بعض المسرحيات من أوبرا كونشيو وأوبرا شين، وإيقاعاتهما وأساليبهما للأداء، مما شكل

أوبرا بكين أخيراً، من خلال التبادل والتلاقح المستمر. وفيما بعد تطورت أوبرا بكين تطوراً سريعاً داخل قصور أسرة تشينغ، بعد إتمام تشكيلها حتى حققت ازدهاراً غير مسبوق في فترة ما قبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية .

تم انتشار أوبرا بكين في جميع أنحاء العالم، كونها وسيلة مهمة لتعريف الفنون والثقافات الصينية التقليدية ونشرها. إن أوبرا بكين موزعة في جميع أنحاء الصين، بمحور مقرها في بكين. وتم إدراجها في «قائمة الأعمال النموذجية للتراث الثقافي غير المادي البشري»، في 16 نوفمبر 2010.

قد شكل فن أوبرا بكين المسرحي مجموعة من برامج التقييس والتوحيد، المحددة والمقيدة بشكل متبادل بالممارسة على المسارح للمدى الطويل من العديد من الفنانين، في جوانب مختلفة مثل الأدب والأداء والموسيقى والأغنية والطبول والماكياج، ونماذج الوجوه المسرحية... إلخ. إن وسائلها الفنية لإظهار الشخصيات المسرحية غنية وقوية للغاية، مع شدة الأنظمة لاستخدامها.

إن أوبرا بكين تختلف عن الأوبريتات الصينية الأخرى، من ناحية الأفق الفني الأوسع لعرض الحياة، ناتجة عن نموها في البلاط منذ بداية الأمر من تشكيلها، كما تم تمييزها في تشكيل الشخصيات الأكثر تنوعاً، والمتطلبات الأشد لشمولية فنونها واستكمالها، وكذلك في المتطلبات الأعلى لنظرية علوم الجمال في إبداع التشكيلات المسرحية. وفي الوقت نفسه تكون الميزة القروية أخف نسبياً، وصفات البساطة والخشونة أضعف وأقل نسبياً.

نتيجة لذلك، تميل فنون أدائها إلى المزيج من أساليب التعبير الافتراضية والحقيقية أكثر، تجاوزت القيود سواء من مساحة المسرح أو من التحكم الزمني إلى أقصى حد؛ لكي يتم الوصول إلى الأفق الفني (للتعبير عن الروح والذهن عبر الشكل والجسد، والجمع بين الجسد والروح)، وهو في الأداء روعة ودقة في كل التفاصيل؛ وفي ألحان الغناء رخيمة ومملوءة بالعواطف؛ وفي الحركات تعبيرات الوجه الحيوية مع الأغاني بعيداً عن مجرد شجاعة شرسة.

في أوبرا بكين أربعة أساليب فنية للأداء: الغناء، والحديث، والتمثيل، والحركات، وهي تسمى أيضاً المهارات الأساسية الأربع لأدائها. يقصد الغناء بالنغمات والإيقاعات، والحديث بمعنى استخراج الكلام مع الميزات الموسيقية، مما يشكل الغناء والقراءة المتكاملين (الأغنية)، التي هي أحد العناصر الرئيسة في فن أداء أوبرا بكين؛ أما التمثيل فهو الحركات الجسدية كالرقص، والحركات ترمز إلى مهارات القتال التمثيلي والتقلب، ويتحد الاثنان مع بعضهما، مما يشكل الرقص وهو أحد العناصر في فن أداء أوبرا بكين.

يفترض بممثلي الأوبرا أن يقوموا بالتدريبات من هذه الجوانب الأربعة من صغرهم، ولابد لكل منهم أن يتقن المهارات الأربع الأساسية بشكل جيد: الغناء والحديث والتمثيل والحركات، وإلا لا يمكن عرض الخصائص الفنية لأوبرا بكين بشكل كامل، وتمثيل الشخصيات المختلفة، وتصويرها على وجه أفضل.

توجد مبالغات فنية في جوانب مختلفة من الماكياج والثياب التمثيلية، وفقاً للجنس والشخصية والعمر والمهنة والمكانة الاجتماعية للأدوار المميزة على المسرح، التي تنقسم إلى أربعة أنواع: شين (رجل)، دان (امرأة)، جينغ (رجل قوي أو خشن المزاج)، تشو (شخصية مضحكة)، حيث تطلق على هذه الأنواع الأربعة من المصطلحات في أوبرا بكين «أنواع الدور».

تعد نماذج الوجوه المسرحية ميزة رئيسة في أوبرا بكين أيضاً، فالوجه الأحمر يشير الى صفات ممدوحة؛ أي الإخلاص والشجاعة؛ والوجه الأسود بمعنى محايدة، أي الذكاء والشراسة؛ والوجه الأزرق والأخضر يقصدان محايدة أيضاً؛ أي الأبطال في الفئة العادية الشعبية؛ والأصفر والأبيض يرمزان إلى صفات سيئة، أي الأشخاص الشريرين؛ أما الوجهان الذهبي والفضي، فهما بمعنى قوة ساحرة، أي الملائكة والشياطين.

باختصار، يستحق جمال فن أوبرا بكين تقديرنا وإعجابنا، وهي جديرة بالأرث بكل المعنى.

الألعاب والدمى الشعبية اليابانية

(الجزء الأول)

تمثل الدمى والألعاب الشعبية أحد أهم العناصر المرتبطة بشكل وثيق بحياة الأطفال، ولكنها تظل ذكرى رائعة يسترجعها الكبار؛ كي تعود بهم إلى تلك اللحظات الممتعة التي عاشوها عندما كانوا صغاراً.

رية ناكاو
كاتبة وفنانة – اليابان

تزخر اليابان بالعديد من الألعاب والدمى الشعبية، التي يعود تاريخها إلى العصور القديمة، ومازال بعضها ممتداً حتى اليوم. معظم هذه الألعاب مرتبطة بالأحداث الموسمية والمناسبات الشعبية في البلاد، بعضها شائع في جميع أنحاء اليابان، والآخر يُعرف محلياً في المنطقة التي نشأ فيها فحسب. هناك مقولة يابانية تقول «إن السعادة تأتي في رأس السنة الجديدة»؛ لذلك غالباً ما يتم لعب هذه

الألعاب أو اللعب بالدمى الشعبية في عطلة رأس السنة الجديدة، وعلى الرغم من اختفاء بعض تلك اللعب مع مرور الزمن، تم تطوير أخرى بوساطة التكنولوجيا الحديثة.

«كاروتا»/ ورق اللعب الياباني

«كاروتا» هي واحدة من ألعاب الورق الشعبية التي يلعبها الأطفال والكبار في المنزل الياباني، حتى الآن، وعلى الرغم مما يقال بأن التجار البرتغاليين هم من أتوا بها إلى اليابان في القرن السادس عشر، إلا أن هناك من يؤكد أنها نشأت من ألعاب مطابقة الأصداف في قديم الزمان، حيث يتم طلاء الأسطح الداخلية لأصداف البطلينوس بمناظر أو أشعار متطابقة، وقد كانت تلعبها العائلة المالكة في ذاك الوقت فحسب.

ونذكر هنا واحدة من أقدم ألعاب الورق، هي «مائة قصيدة واكا»، وتشير كلمة «واكا» إلى قصيدة يابانية تتكون من «تانكا»؛ أي قصائد قصيرة و«شوكا»؛ أي قصائد طويلة وقصائد أخرى. يعود تاريخ «واكا» إلى القرن السابع الميلادي، وتم تجميعها معاً في القرن الثالث عشر، وفي وقت لاحق تم إطلاق اسم «تانكا» على قصائد «واكا».

تتكوّن قصيدة «واكا» من 31 مقطعاً مرتباً في 5-7-5 مقاطع في الجزء الأول، و7-7 مقاطع في الجزء الثاني وهكذا.

يلزم للعب هذه اللعبة، وجود ثلاثة أشخاص على الأقل، أحدهم يعمل قارئاً، والمتبقون هم اللاعبون. أولاً، يتم وضع بطاقات الجزء الثاني من «واكا» على الأرض مواجهاً للأعلى، بينما يجلس اللاعبون حول هذه البطاقات، ويستمعون إلى الشخص الذي يقرأ

«واكا»، ويحاولون التقاط البطاقة المطابقة بالسرعة الممكنة التي يسمعون بها القارئ من بداية بطاقات الجزء الأول، ويكون الفائز هو الشخص الذي يحصل على أكبر عدد من البطاقات.

يجب حفظ مائة « واكا» بالكامل للفوز باللعبة ، وقد أسهم ذلك في انتشار وتناقل الثقافة اليابانية، والتغني عبر حكمة الأجداد، حتى إن الطلاب في المدارس حتى اليوم يتعلمون ويحفظون قصائد «واكا».

لا يقتصر تأدية هذه اللعبة في المنزل فحسب، بل تُقام أيضاً العديد من المسابقات حول اليابان، مثل المسابقات الإقليمية، وكذلك في الشركات وفي المدارس، وتعد واحدة من أكثر الألعاب شعبية في احتفالات العام الجديد، يشترك فيها كل من الأطفال والكبار ويستمتعون بها .

هناك أيضاً العديد من الألعاب الأخرى للأطفال،

وهي تعتمد على فكرة «واكا» نفسها، حيث تحمل البطاقات أمثالاً شعبية، ويتنافس فيها اللاعبون على التقاط أكبر عدد ممكن من البطاقات المتطابقة، وأحياناً يكون هناك صور متطابقة على البطاقات بدلاً من الكلمات، وهذا يجعل التقاط الأطفال أسهل وأسرع، ولاتزال ألعاب الورق تحظى بشعبية كبيرة لجميع كبار الأعمار.

تاكو أجي/ الطائرات الورقية

تستخدم قصبات الخيزران وورق «واشي»، الذي يصنع يدوياً لعمل الطائرات الورقية التقليدية في اليابان، حيث تحظى الطائرات الورقية مستطيلة الشكل، وتلك التي تأخذ هيئة الإنسان بشعبية كبيرة، لكن في بعض المناطق تأخذ الطائرات الورقية أشكالاً مختلفة تتميز بها. تصميم الطائرات الورقية تتضمن رسومات بألوان براقة واضحة لأبطال تاريخيين أو حروف يابانية كبيرة، تعني حسن الحظ، يمكن أن ترى بوضوح من مسافات بعيدة. يعود تاريخ بداية معرفة الطائرات الورقية اليابانية إلى زمن بعيد، قدّره المؤرخون والباحثون بأكثر من 1000 عام.

في البداية كان يستخدم في المهرجانات لجلب الحصاد الوفير ، ولكن لا يسمح إلا للعائلة المالكة فقط بتطيير الطائرات الورقية. أما خلال الحرب في القرن السادس عشر، فتم استخدام الطائرات الورقية أيضاً كأداة لقياس المسافة إلى معسكر العدو.

اتسمت فترة إيدو (1868 –1603) بالسلام الشامل؛ لأنها تبعت فترة طويلة من الحروب؛ لذلك ازدهرت الثقافة وتطور الاقتصاد، وتم إنشاء العديد من المحال التجارية التي استخدمت الطائرات الورقية كأداة إعلان للترويج لمنتجاتها، من خلال كتابة أسماء أو منتجات المحال التجارية عليها؛ لأنه كان من السهل على الجميع ملاحظة الطائرات الورقية.

بسبب الانتشار الواسع «للواشي» (ورق ياباني) في جميع أنحاء اليابان، أصبحت الطائرات الورقية تقليداً شعبياً راسخاً عند الجميع، خاصة الأطفال. العديد من التصميمات المتنوعة كانت شائعة بين العامة، مثل ممثلي «الكابوكي» أو مناظر «أوكييو-إه» (رسومات منحوتة على ألواح خشبية)، ، يقال إنه كلما ارتفعت الطائرة الورقية تحقق المزيد من الأحلام، ونشأ الأطفال الأصحاء، ويقوم الآباء أيضاً بتطيير الطائرات الورقية للاحتفال بميلاد أطفالهم، ليس ذلك فحسب، بل يستمتع الأشخاص من جميع الأعمار بتطيير الطائرات الورقية أيضاً.

بسبب التطور واكتشاف الكهرباء، تم تمديد الأسلاك الكهربائية والأعمدة في جميع أنحاء اليابان، مما أعاق أنشطة تطيير الطائرات الورقية، وبسبب انتشار التلفاز أيضاً، انتهى تداول الإعلانات بوساطة الطائرة الورقية، وبدأ الأطفال يلعبون ألعاب الفيديو في المنزل، وأصبحوا بالكاد يلعبون في الخارج.

ومع ذلك، استمرت هواية تطيير الطائرات الورقية حتى هذه الأيام، في المهرجانات مثل الاحتفال بالعام الجديد، والاحتفال بيوم الصبي في شهر مايو. تقام مهرجانات الطائرات الورقية كل عام،وأيضاً مهرجانات الطائرة الورقية العملاقة التي تقام في بعض المناطق ، حيث بلغ حجم أكبر طائرة ورقية 210 أمتار مربعة، ووزنها يصل إلى 900 كغم، وقد طيرت في السماء في تقليد امتد إلى ما يقرب من 200 عام. ترمز الطائرات الورقية إلى حسن الحظ ونجاح الأعمال، وهناك العديد من الطرق لاستخدام الطائرات الورقية، ليس فقط المتعة بتطييرها عالياً، وربط العديد من الطائرات الورقية في خط واحد، ولكن أيضاً تستخدم في معركة الطائرات الورقية عن طريق التنافس في الهواء بمحاولة إسقاط الطائرة المنافسة أو قطع خيطها.

«كامي فوسن»/ الكرة الورقية

ظهرت الكرة أو البالون الورقي «كامي فوسن» بعد البالون المطاطي، ومازالت مرغوبة لدى الأطفال حتى الآن، وهي عادة ما تكون مستديرة، ولكن هناك بالونات مربعة الشكل، تتميز البالونات الورقية بألوانها الزاهية، وبساطة صنعها وأمنها على الأطفال. في العصر الحديث، تُستخدم البالونات الورقية أكثر كديكور داخلي، حيث يجلب البالون

الملوّن المصنوع يدوياً الدفء إلى قلب الناس. كما يتم استخدام البالون لأغراض إعادة التأهيل، مثلاً في مرافق الرعاية التمريضية، واستخدامه كعنصر لزيادة الحواس الخمس، حيث يقوم الأشخاص بنفخ البالون بأفواههم، وضربه عالياً في الهواء برفق، حتى لا يتمزق واللعب معاً كفريق عمل. تحرص بعض المناطق في اليابان على إقامة المناسبات الشعبية التي من بينها ما يعود نشأته لأكثر من 100 عام مضت، وفي كل شتاء، يصنع بالون ورقي ضخم، ويضرب ليطير عالياً في السماء في منتصف الليل، وتكون مزينة برسومات الساموراي أو السيدات الجميلات.

«داروما أوتوشي»

«داروما» هو اسم الدمية التي تمثل الكاهن البوذي، بينما تعني كلمة «أوتوشي» إسقاط، يوضع رأس الدمية الأسطوانية الشكل «داروما» فوق خمس قطع خشبية ، مرصوصة فوق بعضها لتكوّن جسم الدمية، ثم يقوم اللاعب بضرب هذه القطع أسفل قطعة

الرأس، واحدة تلو الأخرى، بسرعة كافية بالمطرقة، دون التسبب في سقوط الرأس.

تتطلب هذه اللعبة الشعبية تركيزاً جيداً، ورد فعل سريع، من خلال الضرب الحاد والأفقي والقوي، وذلك لصعوبة الحفاظ على التوازن التام على القطع، ويمكن لشخص واحد أن يلعب بمفرده أو مع الأصدقاء بالتناوب، حتى يتسبب شخص ما في سقوط الداروما.

الفوز دون السقوط يعني حظاً سعيداً؛ لذلك يتم تأدية اللعبة تقليدياً في يوم رأس السنة الجديدة، حتى تجلب لهم الحظ السعيد في العام الجديد القادم.

بخلاف اللعبة، تُستخدم دمى «داروما» اليوم كتميمة لجلب الحظ كي يتم تحقيق أمنية خاصةعلى سبيل المثال، اجتياز امتحان القبول في المدرسة الثانوية أو الجامعة أو الفوز في الانتخابات. يوجد سوق لبيع «داروما» في بعض المناطق حول اليابان، حيث تباع عادة بعين واحدة، وإذا لبت الدمية أمنية من اشتراها، يضع الشخص العين الثانية امتناناً لتحقيق أمانيهم.

هانيتسوكي

هانيتسوكي هي لعبة تقليدية قديمة، غالباً ما تلعبها الفتيات في عطلة رأس السنة الجديدة.

تشبه هذه اللعبة تنس الريشة من دون شبكة، ولقد بدأت تقريباً في القرن الرابع عشر، ولكن يُقال إنها نشأت من لعبة قديمة يعود تاريخها إلى عصور تسبق ذلك الوقت بكثير، وفيها تضرب كرة خشبية ثابتة على الأرض بعصا طويلة، ولكنها تحولت لاحقاً إلى لعبة تشبه كرة الريشة.

يلعب هذه اللعبة عادةً شخصان، يمسك كل منهما بمضرب خشبي مستطيل الشكل، يسمى «هاجويتا» ليضرب به كرة الريشة الملونة «هاني»، وهي عبارة عن أشكال دائرية صلبة مصنوعة من بذور شجرة الصابون والريش، وكلما تمكن اللاعب من إيصال الكرة بضربها لارتفاع أعلى في الهواء، زاد حظه في العام المقبل، بينما اللاعب الذي يخطئ ويتسبب في إسقاط الريشة، يتم وضع علامة على وجهه بحبر أسود، حيث يعدّ هذا بمثابة حماية من الأذى.

قديماً كان الناس يخافون من البعوض الذي ينشر الأمراض، وبينما كانت كرة الريشة الطائرة، تبدو مثل حشرات اليعسوب التي تاكل البعوض، أصبحت هذه اللعبة تقليدياً شعبياً يلعبها الوالدين في رأس السنة؛ لتكون حماية لأطفالهم، وعدم تعرضهم للدغات البعوض في الصيف المقبل.

كان يقدم «هاجويتا» أيضاً كهدية عند إنجاب طفلة احتفالاً بالولادة كأمنية لها بالنمو والصحة في أول عام جديد لها، ورغم قدم هذه العادة التقليدية، فقد استمرت في بعض المناطق في اليابان حتى الآن.

في البداية، كان المضرب الخشبي مزيناً برسومات بسيطة،ورموز ترمز إلى الحظ السعيد، ولكن حديثاً ظهر التصميم الجديد «أوشي هاجويتا»، الذي يتميز برسومات ثلاثية الأبعاد، على أقمشة محشوة قطن بداخلها،كان يستخدم كزخرفة أو اكسسوار للحماية أو لجلب الحظ السعيد بدلاً من اللعب بها ، وقد حظيت رسومات وصور شخصيات ممثلي مسرح «كابوكي» بشعبية كبيرة بين عامة الناس.

وعلى الرغم من تراجع شعبية اللعبة في العصر الحديث، مازال هناك بعض الناس يحبون شراء «هاجويتا» المزينة بالأشكال الجميلة، حيث تقام بعض أسواق لبيعها مثل المعبد في طوكيو في شهر ديسمبر؛ أي قبل قدوم العام الجديد. تعددت الرسومات التي كانت تزين بها مضارب هاجويتا، مثل صور ممثلي كابوكي، نساء يرتدين الكيمونو، شخصيات سياسية مشهورة، لاعبين رياضيين، شخصية العام، شخصيات الرسوم المتحركة الشهيرة وما إلى ذلك، وهكذا تناقلت التقاليد من جيل إلى جيل.

إطلالة على الماضي

د. منّي بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

شهدت حياة الإنسان الإماراتيّ نقلةً كبيرةً وتحولاتٍ عميقةً خلال السنوات الأخيرة، ألقت بظلالها على مناحي الحياة كافةً، وطبعتها بطابعها الخاص، وأظهرت الفوارق الكبيرة، والبون الشاسع بين الماضي والحاضر، والقديم والجديد، والطارف والتالد، ويمكننا تلمّس ذلك التغيير في العديد من المجالات، فقد اعتمدت حياة الإنسان الإماراتيّ في القديم على ما كان يقطفه من النخل، أو يصطاده من البحر، أو يجنيه من التجارة؛ فلذلك كانت مظاهر الحياة مرتبطة أشد الارتباط بالبيئة المحلية وروافدها، وما تدرّه من خير، ونتيجة لذلك كانت الحرف والمهن تابعة لتلك الحياة، وكانت المرأة عاملة تمتهن العديد من الحرف التقليدية، والصناعات المحلية في بيئتها، وراوية وساردةً للحكايات التي كانت تلقى على مسامع الأبناء والأحفاد قبل النوم، بالإضافة إلى كونها ربة المنزل، والقيّمة على شؤونه. وعلى الشاكلة نفسها، لعب الرجل الإماراتيّ دوراً محورياً في الحياة، حيث كانت عليه قوامة البيت، وتوفير المأكل والمشرب والملبس، وامتهن العديد من المهن التراثية، كما كان راوياً وكنزاً بشرياً حاملاً مستودع الذكريات، وحارساً للقيم والمثل العليا التي توارثها كابراً عن كابر.

وبالجملة، فقد كانت حياة الإنسان الإماراتيّ في القديم أكثر تماسكاً وانسجاماً مع عاداته وتقاليده، وماضيه العريق، وأكثر تعاوناً وتواصلاً وتكافلاً وترابطاً من الآن، حاله في ذلك كحال شعوب العالم كلّها، التي تأثرت باجتياح تيار العولمة والتحديث الحياةَ المعاصرة، ما أدى إلى تغيير نمط الحياة، ونحلة العيش، وأدخل كثيراً من المسلكيات والممارسات الجديدة، التي تختلف بالضرورة عن حياة الماضي، إن لم تتناقض معها في بعض الجوانب، ما يدعو، بإلحاح شديد، إلى العودة إلى التراث، والتمسّك بقيمه ومُثله ورموزه، وزرع تلك القيم في نفوس الأبناء والنشء؛ للمحافظة على الهوية التراثية والحضارية للمجتمع الإماراتيّ، في وقتٍ يتّسم بالمسخ والاستلاب.

the people in the Gulf region and their role in authenticating their history and relation of that to their heritage. We have highlighted the symbolism and significance of the stars for the Emiratis and their heritage. Stars were narrated and presented in the Emiratis' prose and poetry, where poets expressed their spiritual, emotional and natural connection to those stars in general, and the "Suhail" star in particular, due to the interest of the ancient Arabs in it, or as dubbed "Al-Bashir Al Yamani". The file also covered omens and stars in the Arabian heritage and in cinema.

The issue further includes the Sharjah Institute for Heritage's news and the events organized by it during the past period, including seminars, lectures and virtual workshops that had a major role in fulfilling the desired goal and presenting the heritage to the public in a manner commensurate with the current circumstances.

Among the major works carried out by the Institute, was the heritage village in Khorfakkan, which the institute worked on preserving, restoring, rehabilitating and reviving it to open it to visitors to enjoy the spirit of the past and its magnificent scent. The issue also reviewed the Institute's observation of the Bahraini Cultural Day, which was organized within an updated programme for World Cultural Heritage Weeks in Sharjah, which aims to highlight heritage of countries that have been hosted during the past years.

Furthermore, the issue focused on the «Our Heritage in a Book» initiative that was launched by the Institute coinciding with the spread of COVID-19, with the aim of introducing its publications that include the ancient history and deep heritage that is renewed in a bright picture reflecting the Institute›s interest in the heritage and its documentation and publishing.

In addition, the issue included many diverse heritage and cultural topics that enrich readers' information, such as: Heritage of Calamities of Dr. Majid Bouchleibi, the biography of the poet Ali bin Huwaishel Al Khatri (poet of Al-Razif), the art of the Gulf voice in the UAE, Wahhabism Art, Diving…A Journey of Suffering and Struggle, story of the poet Juwaihir bin Abboud Al Sayegh with Mohammed bin Hamad Al Shamsi, the storyteller Rashid Al Shooq, Salifa and Faida, in addition to other topics on the heritage of peoples and nations› cultures.

In the past, Arabs relied on stars as signs to guide them in the vast and wide deserts that were not bounded by anything. Over the time, they were able to know much more about the stars and horoscopes. And due to the association of that with their daily life, they observed the stars, and accurately knew their positions. Stars were not only used to determine the directions, they were also used to determine seasons of the year. In this issue of “Marawed”, we have prepared a special file entitled “Stars and Omens in the Arabian Heritage” to discuss that idea coinciding with the rise of “Suhail”. We have recalled the interest of the Arabs in the past in the stars and their close connection with the various details of their lives. Then, reviewed the stars and seasons for